المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

سلامان وأبسال

ل: نور الدين عبد الرحمن الجامى



ترجمة

عبد العزيز بقوش

الطبعة الثانية

2/342

هذه القصة فى مجملها قصة فلسفية رمزية اختتمها الجامى بحل رموزها؛ فقال:

"لما خلق الصانع الواحد هذا العالم بدأ بالعقل الأول وثمت العقول عشرة، وعاشرها مؤثر فى العالم وهو لهذا يسمى العقل الفعال، وهو فى العالم مفيض الخير والشر وكفيل بالنفع والضر وروح الإنسان وليدة تأثيره ونفسه أسيرة تدبيره.. وهو الملك الآمر المؤمر، وسواه مأمور مسخر وهو المقصود بالملك فى هذه القصة".

"أما الحكيم فهو الفيض الذى ينزل منه على العالم، وروحه الطاهرة تسمى النفس الناطقة وهى وليدة هذا العقل دون صلة جسمانية، ومفارقة هذه الصلة الجسمانية هى التى كنى عنها بالولادة من غير أب وهذا الوليد الظاهر سمى سلامان".

"وأما أبسال فهو هذا الجسم أسير الشهوة، والخاضع لأحكام الطبيعة؛ فالجسم حى بالروح، والروح بالجسم تدرك المحسوسات، فكلاهما ـ من هذا ـ عاشق صاحبه.

سلامان وأبسال

المركز القومى للترجمة

إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٣٤٢/ ٢
- سلامان وأبسال
- نور الدين عبد الرحمن الجامى
- عبد العزيز بقوش
- الطبعة الثانية ٢٠٠٩

هذه ترجمة:

أورنـگك دوم

مثنوى سلامان

نور الدين عبد الرحمان بن أحمد جامى خراسانى

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة - القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

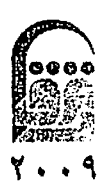
El Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo.

E-mail: egypicouncil@yahoo.com Tel: 27354524-2735426 Fax: 27354554

سلامان وأبسال

تأليــــــف: نور الدين عبد الرحمن الجامى

ترجمـــــة: عــبد العــزيـز بقـــوش



٢٠٠٩

رقم الإيداع: ١١١٨٦ / ٢٠٠٩
الترقيم الدولى: 4 - 350 - 479 - 977 - 978
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

مقدمة

نظم نور الدين عبد الرحمن الجامى – من شعراء القرن التاسع الهجرى – سبع مثنويات فى فترات مختلفة من حياته ، ثم جمعها وأطلق عليها اسم " هفت أورنك" ، يعنى : الكواكب السبعة ، لأنها كانت تعد فى نظره بمنزلة الكواكب الرفيعة .

وهذه المثنويات عبارة عن : سلسلة الذهب ، وسلامان وأبسال، وتحفة الأحرار ، وسبحة الأبرار ، ويوسف وزليخا ، وليلى والمجنون، وخردنامه سكندرى .

وقد قام أستاذى الدكتور محمد غنيمى هلال بترجمة المثنوى السادس " ليلى والمجنون " إلى العربية ،فجمع بين ريادته للأدب المقارن وإثراء المكتبة العربية بترجمته القيمة لهذا العمل .

واقتفيت أثر أستاذى، فقمت بترجمة المثنوى الثانى "سلامان وأبسال" والمثنوى الخامس " يوسف وزليخا".

كما قام أحد أبنائنا بكلية دار العلوم بترجمة المثنوى السابع "خردنامه سكندرى "، وأرجو أن تتاح الفرصة لترجمة بقية المثنويات.

وقد نظم الجامى مثنوى سلامان وأبسال معتمدا على ترجمة "حُنين بن إسحق " ، الذى قام بنقلها من اليونانية إلى العربية .

المترجم

عبدالعزيز بقوش

بسم الله الرحمن الرحيم

– يا من بذكره تنتعش أرواح العاشقين، وبماء لطفه يرطب لسان المحبين،

– لقد سقط على العالم ظل منك، فصار كنز جمال للحسان،

– فالعاشقون الذين شملهم هذا الظل مكثوا فى وله من ذلك الكنز،

– فلو لم يظهر سرُّ حسنك من "ليلى"، لما أضرم عشقها النار فى "المجنون"،

– ولو لم تخلق شفاه "شيرين" حلوة كالسكر، لما امتلأت أكباد هذين العاشقين دماً،

– ولو لم تجعل خدّ "عذرا" مفضضاً، لما انهمرت من مقلة "وامق" قطرات اللُّجين[1]

– إن أحاديث العشق والحسن ليست إلا عنك وحدك، والعاشق والمعشوق ليس أحداً سواك،

– فيا من جمال الحسان حجاب أمامك، لقد أخفيت وجهك وراء هذا الحجاب،

– إنك تحب الحجاب رعاية من حسنك، ومن ثم فقد جعلت القلب حارساً عليه،

– فلكثرة ما انسجم وجهك الجميل مع الحجاب، فإن أحداً لا يستطيع أن يفرق بين وجهك وبين الحجاب،

(١) "وامق وعذرا"، واحدة من قصص العشق، تصور وقوع وامق – الأمير اليمنى – فى عشق "عذرا" أميرة الصين، وقد نظم هذه القصة أكثر من شاعر بالفارسية، كان أشهرهم العنصرى

- فإلى متى ستظل مغرماً بالحجاب؟ وإلى متى يبقى عالم عاشقاً لزينة هذا الحجاب؟
- لقد آن الأوان أن تزيل عنك الحجاب، وتبدى وجهك بمنأى عن الحجاب،
- فتفقدنى وعيى بمشاهدتك، وتفقدنى التميز بين الطيب والخبيث،
- وأنقلب عاشقاً مكتويًا، وأغُضّ الطرف عمن عداك
- فيا من أنت فى صور الحقائق، ليس فى أفعال الخلق غيرك،
- فحين أنظر إلى صورة، فإننى لا أرى فى العالم أحداً سواك،
- إنك أنت المتجلى فى صورة الدنيا، وأنت الحكيم فى هيئة آدم،
- وليس فى قدسيتك مجال للثنائية، ولا مجال للحديث عن ذلك،
- فاجعلنى اللهم موحدا لا أشرك بك، وأنزلنى مقام الوحدانية،
- حتى أتخلص من الثنائية، مثل ذلك الكردى، فأقول: "أهذا يا إلهى هو أنا أم أنت؟
- فلو أنه أنا، فمن أين لى هذه المعرفة والقوة؟ ولو أنه أنت، فمن هو مصدر هذا العجز والقصور؟"

حكاية ذلك الكردى الذى ربط يقطينة فى قدمه حتى لا يفقد نفسه فى ضوضاء المدينة

– قطع كردى الصحراء، والجبل قاصدًا المدينة، بعيدًا عن تقلبات الزمن،
– فرأى مدينة مليئة بالضجيج والصياح، بلغت حدّ الغليان من ضجيج العالم،
– والخلائق تموج فى أنحائها، كل يغاير وجهة الآخر فى عجلة وهفة،
– فهذا يبغى الدخول قادمًا من خارجها، وذاك يودّ الخروج من داخلها،
– وثالث يتجه من اليمين إلى اليسار، وآخر ينحرف صوب اليمين،
– وحين رأى الكردى المسكين الناس – وقد اختلط حابلهم بنابلهم – انطلق من بينهم، واستقر على جانب الطريق،
– وقال: "لو أننى تركت نفسى بين الناس، فلا يبعد أن أضيع بينهم،
– وما لم أضع علامة لنفسى، فكيف أعثر على نفسى من بعد ذلك؟"
– وتصادف أنه كان بيده يقطينة، فربطها فى قدمه كعلامة،
– حتى إذا ما ضاع فى شوارع المدينة، أمكنه أن يتعرف على نفسه حين يراها،
– ولم يلبث أن وقف على سرّه أحد الأذكياء، فسار فى إثره، حتى استسلم للنوم،

– وفى الحال فكّ تلك اليقطينة من قدم الكردى، وربطها حول جسده هو وشرع فى النوم،
– وحين استيقظ ذلك الكردى، ورأى تلك اليقطينة مربوطة فى قدم شخص مجاور له،
٣٥– صاح فيه قائلاً: (انهض يا ضعيف الإيمان ، فقد أصبحت – بسببك – حائراً فى أمرى،
– ذلك أننى لم أعد أعرف على وجه التأكيد: أأنا أنت؟ أم أنت أنا؟
– فلو كنت أنا، فكيف انتقلت تلك اليقطينة إذن إلى قدمك؟
– ولو كنت أنت، فماذا صار إليه حالى؟ إننى لم أعد أدرى أى شيء أنا؟"
– فيا إلهى!! إننى ذلك الكردى المسكين، بل إننى أكثر الأكراد بؤسًا،
– فامنح – يا إلهى – هذا الكردى رونقا من فضلك، واجعل شرابه – بلطفك – صافيا من الأوشاب،
٤٠– فأصبح صافيا من كل الشوائب، وأصير جرعة شافية لأهل القلب،
– وما لم تصلنى جرة جرة، وأنا سعيد مبتهج، فعسى أن يصلنى كأس كأس مثل اسمى [1] ،
– وإذا كانت هذه النعمة كثيرة على، فإنى ألجأ إلى شفاعة سيد الكونين.

---

[1] المعروف أن كلمة "كأس" بالفارسية هى: "جام" وهى شبيهة باسم الشاعر.

في صفة السيد الذى يطوّق رقاب العظماء بعبوديتهم له
وتقوم سعادة الفضلاء دليلاً على وسم خضوعهم له

– السيد الذى يدين له موكب الملوك بالعبودية، ويصيخ السمع لما يأمر به،

– فطلعته قبلة أرواح السعداء، وتراب حَيّة كعبة الرجاء،

٤٥– وحيُّه كعبة كل صديق، والزمزمة واجبة عند الكعبة،

– وتلك العيون المليئة بالدموع هى ترجمان تلك الزمزمة التى يزدان بها شرف العارفين،

– وصيحة الهامسين بهمومهم له إن هى إلا أنين دورات زمزمته،

– فلولاه لكانت الكعبة مليئة بأصنام من حجر، لا يجد الباحثون عن الله مجالاً لهم فيها،

– فاستأصلهما بجهده من جذورها، وألقى بها فى بيداء العدم،

٥٠– وطهّر سبيل الدين من الأصنام، فاتسع ذلك المجال أمام الموحدين،

– وشرف به موضع قدم الخليل، وارتفع بيمن قدومه ذلك المقام،

– ووضع على الحجر اسم يمين الله وطبع على يمين الله قبلة باحترام،

– والواقع أن أحداً لم تقبل يده على وجه البسيطة أبداً على هذا النمط،

- فوجهه فى صفاء منذ الأزل، وسعيه مشكور فى السهل والجبل،

٥٥- وهو ديباجة نسخة الكونين، وهو سيد الأنام، لا تساوى الدنيا بجانبه شيئاً،

- فنحن إنما نطعم من سماط عطائه، ونحمل الطعام من كرم ضيافته،

- والخلائق فى قحط بسبب عصيانهم، ويطمعون أن ينالوا من كفّه العطاء،

- فكل من أصاب مجرّد فتات من مائدة كرمه، لا يأبه أن يواجه عامَ قحط.

حكاية ذلك العبد الراسخ العقيدة الذى لم يخش بؤس القحط والمجاعة، اعتمادًا على قدرة سيده

- حدثت فى بلاد مصر مجاعةٌ شديدة، حتى كاد الناس يلقون بأمتعتهم فى النيل من هول الفزع،

٦٠- ذلك أنهم حينما لم يعرفوا للخبز طريقا، فإنهم ألقوا بأمتعة وجودهم فى النيل،

- ولما كانت لقمة الخبز غالية كالروح، فإنهم كانوا يسلمون الروح وهم يُرددون كلمة: "الخبز، الخبز"،

- ورأى حكيم غلامًا جميلاً، يجرّ أذياله فى فخر ودلال،

- طلعته مضيئة مثل قرص الشمس، لم يتأثر بالمجاعة، وكأنه البدر الذى لم يتأثر بالكسوف،

- نضر الوجه ضاحك مسرور، يتبختر فى مشيته كالغصن البهيج فى اهتزازه،

٦٥- فقال له الحكيم: "أيها الغلام!! إلى متى ستظل فى الفخر والدلال، رافع الرأس عالى الهمة؟

- إن الدنيا فى غم وذل من أجل الخبز، فكيف بك فارغ البال هكذا؟"

- فأجاب: "إن فوق رأسى سيداً كريماً، يغرقنى بإنعامه،

– مائدته عامرة بالخبز، وبيته مليء بالقمح، لا تعرف الجاعة إلى داره سبيلا،

– فكيف إذن لا أكون بذلك سعيدًا مسرورًا؟ ألست فى مأمنٍ بذلك من أن تَغْشَى الجاعة بنابها؟"

فى مدح السلطان، حامى الدين، ظل الله فى الأرضين، على مفارق الضعفاء والمساكين، خلد الله تعالى سلطانه

ماذا يصنع العبد الشاكر فى قُبَّة هذا المحراب العالى الأساس؟

- إن عليه أن يقيم فى موضع الشكر، على نعم الكريم مالك الملك،
- خاصة وأن حكمه شامل، وذلك بوجود سلطان عادل،
- فالسلطان العادل ما هو إلا ظل لله، وظل الله هو ملاذ الخلق،
- وكل ما تتمتع به ذات الشخص من زينة، لها ما يقابلها — فى نظر العارف — فى ظله،

وطالما أن هذا هو عين باسط الظل، فحذار ألا تكترث لأمره،

- فالظل هو انعكاس لجوهر صاحبه، يزخر بصفات ذاته،
- وكل ما هو محتجب من الصفات إنما يتجلى عن طريق ظله فى كل موضع،
- فبعظمة السلاطين الموفقين، تتجلى عظمة الله،
- وإذا أردت شاهدا على صدق هذه الدعوى، فاذهب وانظر إلى السلطان حامى العالم،

٨٠- فهو السلطان الذى تحت خاتمه رقعة ملك "جمشيد"[١]، يمينا وشمالا،
- وهو السلطان يعقوب،حاكم الدنيا، الذى تتضاءل ذروة الأفلاك أمام علو عظمته[٢]،
- فملك الوجود هو امتداد ميدانه، وكرة الفلك فى مُنْحنَى صولجانه،
- ويقبل الهلال تراب حدوة حصانه، وظهره المقوس شاهد يؤيد هذه الحقيقة،
- وبسبب تقبيله التراب، ارتفع قدره على رأس هذه القبة، بعيداً عن الأذى،
٨٥- وقد أحيت يده رسوم الكرم، فأذاعت فى الناس كرم حاتم،
- واسمه ديباجة ديوان العدل، وحكمه موزون بميزان العدل،
- وقد حبس نور عدله الظلم والجور فى غياهب العدم،
- فصار شهير زمانه فى حسن الأخلاق، وميراثه هو تلك الأخلاق الكريمة،
- فلقد اتخذ والده(٣) طريقه إلى دار الخلد، وظلت هذه الأخلاق الكريمة من بعده ميراثا له،
٩٠- فالفلك الأزرق درجة فى عرشه، وأصحاب التيجان يخرون

---

(١) اسم ملك فارسى من العصر الأسطورى. المعجم الفارسى الكبير. المجلد الأول ص٨٤٦. الدكتور إبراهيم شتا.

(٢) السلطان يعقوب التركمانى (من أسرة أصحاب الخروف الأبيض)، وهو الذى نظم الجامى هذه المنظومة باسمه.

(٣) والده هو: أوزون حسن، فاتح العراق وآذربيجان.

سجداً أمام عرشه،

- ولم يمتنع أحد عن السجود أمام عرشه، وكل من فعل ذلك أطيحت رأسه،
- فالعظمة هى أن تكون الرؤوس تراب طريقه، والشرف هو أن تعنو الوجوه له أينما ذهب،
- فكل من جعل رأسه ترابا فى طريقه أصبح تاج قمة الأفلاك،
- وكل من منح تراب بابه ماء وجهه، صارت كل قطرة – فى نظره – أنهاراً،

٩٥– فسأقرض الشعر فى مديحه سنين طويلة، فسعادتى العظيمة فى أن تكون مادحاً له،

- لكنى أختصر هذا الباب، وأوجز هذا الإطناب،
- فقد ارتفع جرم الشمس فى الأفق، وها هو ذا عالم يقاسمه ضياءه،
- فليس أقل من ذرة بلا يد أو قدم، حتى تتغنى بمديحه،
- وليس فى متسع كل شخص أن يمدحه، وقد ذكرت اسمه، وهذا هو مدحى وحسب.

حكاية ذلك الشاعر الذى ادعى مدح سلطان، ثم قدم له صحيفة لا تحتوى إلا على اسمه فحسب

١٠٠- مثل شاعر بين يدى سلطان مشهور وقال له: "يا من تجاوزت رأسهُ بالرّفعة الأفلاك،

- لقد نظمت فى مدحك شعرا جديداً، ونظمت جوهرا مضيئاً كالدرر،

- ورغم أن كثيرين قد نظموا الدرر فى مدحك، فإن قلة منهم قد مدحوك على هذا النمط"

- وعندئذ سلم السلطان صحيفة، لم يكتب فيها سوى اسم السلطان،

- فقال له السلطان: "يا من هو خلو من العقل والذكاء!! لقد كان خيرا لك أن تلتزم الصمت من أن تأتى بالمديح على هذه الصورة!!

١٠٥- إن صحيفتك لا تحوى من الكتاب أكثر من الاسم، ولا يعنى ذكر اسم المرء مدحه،

- فلا أنت قد وصفتنى بالملك ولا بالعدل، ولا تحدثت عن العرش ولا عن التّاج،

- وأنت تذكر اسمى مجردا من هذه الأوصاف، فلا يعد صنيعك هذا من بين أساليب المدح".

- فقال له: "أيها السلطان! حسبك اسمك السعيد هذا، فهو دليل على كريم الصفات!!

- فكل من يذكر اسمك أو يسمعه، أنى ينصرف ذهنه لغير هذه الصفات؟

١١٠- فطالما أن اسمك يدل على هذه الأوصاف، فهو وحده سجل لصفات الكمال،

- فبرغم أنى لم أذكر غير هذه الكلمة وحسب، فإننى حين أسميتها مديحا لم أكن مغاليا".

إظهار العجز عن الوفاء بالثناء،
ورفع يد الضراعة بالدعاء

- إن فضل السلطان وفضائله تتجاوز الحدود، فأى عقل عنده القدرة على وصف ذلك؟
- فمن الخير أن أعترف لتوى بعجزى، وأن أغدو معلنا قصورى،
- فإن هذا هو الدين فى نظر العقلاء، وهذا هو السر فى أنّ الثناء عليه لا يعرف حدودا،

١١٥- فإذا كنت لا أستطيع أن أحصى ثناءه، فخير لى أن أكرس جهدى فى الدعاء له،

- وهو دعاء ليس كذلك الذى يصدر من كل ذى رأى ضعيف قاصر على هذه الدنيا وجاهها،
- بل دعاء كدعاء أهل القلب، مشتمل على ألطاف الله،
- دعاء يجلب السرور والسعادة، ويحقق حياة خالدة،
- ويرشد قلب السلطان إلى الدين، فيتمسك بالعقيدة لتغدو قانونا لدولته،

١٢٠- وبهذا يكون عمله جريا على ما ينص عليه الشرع، ويصير نواة للسعادة الخالدة،

- فما دامت هذه القبة الزرقاء مكان جلوة شمس المشرق،
- فليجعل (الله) العرش الملكى موضعا لجلوة السلطان، وليجعل قلبه عارفا لأسرار الدين

- وليزوده كل لحظة بالفضيلة الدائمة، حتى يكون جديرا بالملك الخالد،
- وليسلم له أحباؤه من كل آفة، وليستقيموا على طريق المحبة.

الانتقال إلي مدح جوهر منجم الفتوة، ومشيد أركان الأخوة، من له فى الملك جاه يوسف وجماله، وفضله وأفضاله، أعز الله تعالي أنصاره وضاعف اقتداره

١٢٥ – وخاصة رفيقهُ حسن النية، الذى يبدو وكأنه خلق معه من جوهر واحد،
– فهو قد أخذ مكانه فى ظل سعادته، واقتفى أثره كما لـو كان ظلّه،
– فأينما تكن تلك الشمس، كان ذلك الشعاع، وأينما كان ذلك الزعيم، كان ذلك التابع،
– ورغم أنه وُلِدَ فى سرير الخلافة، فإنه لم يرفع راية العصيان عليه،
– فكان والى مصر بجلاله واحتشامه، ومن ثم فقد أسموه "يوسف"[1]

١٣٠ – طلعته الجميلة تثير حسد يوسف، وتجعل عالما من أمثال زليخا ثملا بحبه،
– وكان من يقع بصره على وجنته يصيح مكبراً:(ما هذا بشرا)[2]،

---

[1] الأمير يوسف هو أخو يعقوب بيك، الذى نظم الجامى القصة باسمه.
[2] إشارة إلى الآية الكريمة: ((فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم)). يوسف الآية(٣١)

- ورغم أنه أخ وحيد للسلطان، إلا أنه يعادل مئات الأرواح عند السلطان،
- فقد قال أحد العوام لرجل عالم: "يا من أنت فرد بعلمك بين العلماء،

١٣٥- اكشف لنا سر هذه المسألة الغامضة، أيهما أفضل: الأخ أم الرفيق والصديق؟"

- فقال: "ليس هناك – فى نظر العالم – شخص خير من الأخ حين يكون صديقا لأخيه كذلك".
- فيا إلهى، يا من جعلت افتراق الفرقدين عن بعضهما فى قمة الفلك أمراً محالاً على مر الشهور والأعوام،
- اجعل هذين النجمين مضيئين متلازمين، وثبتهما على عرش الكرامة.

فى صفة الضعف والشيخوخة، وانقضاء زمن اجتلاب المنافع بذلك عن طريق المشاعر والقوة والجوارح والأعضاء

– منذ زمن طويل، وأنا أنسج خيوط النظم علــى أعــواد الكلام، فى هذه الدنيا،

١٤٠– وطالما كنت أعزفُ – من جديد – لحنا، وأتكلــم عــن الأحداث القديمة،

– وقد انقضى العمر، ولم ينته بعد هذا اللحــن، وذبلــت الروح، ولم تنته بعد تلك الأحداث،

– وصار ظهرى مقوساً كالصنج، ولازلت أعزف على العود كل ليلة حتى الصباح،

– وها هو ذا العود يصدُرُ عنه ناشز النغم، وها هو ذا الدهر قد أصاب يد المطرب بالرعشة من الشيخوخة،

– فأنى لأنغام هذا العود أن تظل بذلك متزنة؟ وكيف للحن هذا المطرب أن يتمشى مع القانون؟

١٤٥– لقد حان الوقت كي أحطم هذا العود برقة، وأن أقذف به فى النار من أجل رائحته الطيبة،

– فمن العبث أن يصدر هذا العود ردىء النغم، فالأولى عند ذلك أن تشعل النار فى هذا العود الكريه،

– فلعل هذا العُود – قبيح النغم – يفوح العطر منه، فتنتشى بذلك مشام العقل والدين،

– ومن الخير تقوية العقل والدين، فقد اتجه ذلــك الجســد صوب الضعف،

– وقد تسرب التآكل فى صف الأسنان، فلم تعد تستطيع أن تمضغ الزاد،
– فها هى ذى القواطع أصبحت غير قادرة على القطع، وها هى ذى الطواحن قد عجزت بدورها عن الطحن،
– ولا مناص من أن يكون طعامى الآن خبزا ممضوغاً بأسنان الآخرين، كطعام الأطفال،
– وقد صارت قامتى منحنية، وتدلت رأســى إلى الأمــام، متجهة إلى أصلها،
– فأمى هى الأرض، وأنا طفل رضيع، وليس الاشتياق للأم غريبا على الأطفال،
– فربما أستريح من العناء، وأرتمى فى حضن أمى ثملا بالنوم،
– ولم يعد لعينى أى نفع على وجه الإطلاق، فهى ترى الشيء مضاعفا وكأنى أنظر خلال الزجاج الإفرنجى.
– وها هى ذى آلام القدم، قد غَدَت تلازمنى دوما، حتى صار جلوسى القرفصاء عادة لى،
– وأصبحت لا أقوى الوقوف على قدمى حين أنهض، مــا لم أتكئ على ساعدى،
– وهذه العيوب هى من مقتضيات الشيخوخة، فياويل مــن يبتلى بها،
– فكل خلل يحدث فى المزاج هو من أثر الشيخوخة، وهــو يعيى الطبيب أن يداويه،

حكاية ذلك العجوز ذى الثمانين عاما، الذى ذهب إلي طبيب، وطلب منه علاجا لضعفه، فأجابه الطبيب إن علاجك هو أن تعود شابا من جديد، وأن تحذف أربعين عاما من الثمانين

١٦٠- سأل شيخ معمر فى الثمانين طبيبا عن مرضه،
- قائلاً: "إن أسنانى أصبحت عاجزة عن أن تستجيب للطعام، ولا تستطيع أن تؤدى المضغ جيدا،
- وما لم يكن فتات الخبز ناعما فى فمي، فإن هضمه يصعب على المعدة،
- وطالما أن الهضم فى المعدة غير سليم، فكيف يمنح الطعام القوة لأعضائى؟
- فلو أنك تنقذنى من ضعف أسنانى، فإنك تكون قد أديت لنفسى المسكينة خدمة جليلة".

١٦٥- فقال الطبيب العالم لذلك الشيخ: "يا من انفطر قلبه بسبب محنة الشيخوخة،
- لا يُوجد علاج لضعفك بعد الثمانين إلا بالعودة إلى الشباب، وهذا محال،
- فلو تعود إلى الوراء أربعين عاما، لوجدت صف أسنانك قويا،
- وإذا كان الرجوع إلى الوراء ليس فى مقدورك، فلا

تستكثر أن تواصل حياتك بهذا الضعف،
- وحين يمنحك الموت الخلاص من هذا الجسد، فإنه سوف يبرئك من كل هذا الضعف".

فى سبب نظم الكتاب، والدافع إلي عرض هذا الخطاب

١٧٠- لقد حدَّ وهن الشيخوخة من قوة عزيمتى، وأغلق سبيل التفكير على عقلى،

- ولم يعد للقلب قدرة على فهم الكلام، ولا لشفتى القوة على سياق الحديث،

- فمن الخير أن أجعل الصمت يرين على رأسى، وأربط أقدامى فى ذيل النسيان،

- فما أكثر التشابه بين هذا (الدوبيت) من مثنوى (جلال الدين الرومى) وبين حالى:

- (كيف يأتى النَّظمُ لى والقافية ... بعد ما ضاعت أصول العافية)

١٧٥- فإنى أفكر فى النظم ويقول لى حبيب قلبى: "لا تفكر إلى فى مشاهدتى،

- وأى حبيب؟ ذلك الذى داره القلوب، وجملة الأرواح مخزن أسراره،

- وهو عالم بداره فمن الخير أن تتركها خالية،

- فإنه حينما يرى الغرباء بعيدين عنها، يجعلها مكانا لجلوته،

- فكل من له من العلم حظ أو نصيب، لا يجد من المتعة والسرور غير هذا المطلب،

١٨٠- ولكن الملوك هم ظل له بدورهم؛ إذ هم مزودون

بصفات ذاته،

- فذكرهم فى الحقيقة ذكر له، والتفكير فى صفاهم تفكير فى صفاته،

- فلا جرم أن يصبح مدح السلطان ممسكا بطوقى، مع كل دعوى تقصيرى،

- ولكن مدحه فى تلك الدّار البالية يلزمه ميدان فسيح،

- وإننى أجعلُ ميدانه ذلك المثنوى، وأجدد رسوم مدحه،

١٨٥- وإلا لكنت قد نظمت مثنويات عديدة، وأرحت خاطرى من أمثالها،

- وقد نظمت هذا الكتاب من أجله، وهو دليل على آيات لطفه وسلطانه،

- حتى إذا حانت ساعة البعث، فإننى أتعلق بذكره،

- فلابد أن أثنى عليه بالقول الجميل، وأدعو له وأنــا بــاكٍ حزين،

- وإذا لم تبلغ يدى للتعلّق بأذياله، فليس أمامى إلا أن ألزم مكانى، وأقنع بذكره".

حكاية المجنون الذى اتخذ من إصبعه قلما، وكتب على صفحة الرمل، مثلما يفعل ضاربو الرمل، وحين سألوه عن هذه الكتابة وسببها أجابهم: بأن هذا الذى شرع فى كتابته هو: (اسم ليلى) فطالما أنها ليست فى متناول يده فإنه يتبادل الحب مع اسمها

١٩٠- أبصر أحد المتجولين فى الصحراء المجنون جالسا وحده وسط البادية،
- وقد جعل من إصبعه قلما، وكان يكتب بيده كلمة على صفحة الرمل،
- فقال له: "أيها العاشق الولهان، ما هذا؟ أتكتب رسالة؟ ولمن تكتبها؟
- إن كل ما ستتحمّله من ألم فى كتابتها، سوف تذروه الرياح،
- فكيف يبقى أثر منها على صفحة الرمل، كى يقرأ من يجيء بعدك؟"
١٩٥- فقال (إننى أصف جمال ليلى، كى أُسَلّى خاطرى،
- إننى أكتب اسمها أولا، وبعد ذلك أصف كتاب العشق والوفاء،
- وليس فى يدى سوى اسمها، وبه ارتفع قدرى الذليل،
- فإلى أن أرتشف جرعة من كأسها، فإننى أتبادل الحب مع اسمها".

قولٌ فى توفيق حامى الخلافة بتجنب بعض المناهى وفقه الله سبحانه للتقوى والمغفرة فى الدنيا والآخرة

- ما أحسن ذلك الملك الذى له نصيب من التوبة فى عهد الشباب كالشيوخ،

٢٠٠- فرغم أنه لوث شفته بالخمر فى البداية، إلا أنه غسلها أخيرا بماء التوبة،

- وقد بعدت كأس الخمر كل ما فيها من ماء الطرب عن مجلسه، فلم تند لها شفة،
- وانزوى الدَّنّ فى ركن من الأركان، وخوت معدته من المحرمات، كأنه من الزاهدين الأخيار،
- وأصبح مجلسه الطاهر محروما من الإبريق، الذى توسد يده فى مائة حسرة،
- فقد كان الإبريق يوما يرفع الرأس عاليا – متباهيا به – وهو الآن ليس أمامه إلا أن يدق عنقه بنفسه،

٢٠٥- وكيف للكأس أن تدل على الشراب؟ إن عملها فى مثل هذا الوقت هو أن تقيس الريح،

- إن لكافة الحيوان عيونا وآذانا، ولكن الإنسان وحده هو الذى يتمتع بالعقل والذكاء،

- والخمر عدو العقل، أيها اللبيب، وما أسوأ أن يهزم العدو الصديق،
- فلو أن الدهر يبيع نصف شعيرة من العقل بما يعادل مائتى كوم من الذهب الخالص،
- فإن العاقل ليؤثر أن يضحى بعمره كى يشترى ذلك القدر الضئيل من العقل والحكمة،

٢١٠- ذلك أن الإنسان ما يكاد يرتشف جرعة من الخمر أو جرعتين، حتى يدفع الثمن – غاليا – بإتلاف كل ما لديه من المعرفة،
- إذ يخرج بقدمه من نطاق المعرفة ويطويه وما يملك نطاق الجنون،
- فها أنت ذا قد شربت الخمر، وفقدت وعيك، وصرت عبدا لكل ما هو حسن أو قبيح،
- فماذا أفدت من شرب الخمر ومن اللهو إلا الخسران؟
- ولو أنك تداوم الشراب مائة عام أخرى، فإنك لن تصل إلى شيء غير هذا العناء،

٢١٥- فاعرف متعة الزمن الماضى الذى عشته، وقس عليها العام الذى يليه.

حكاية ذلك الرفاء الذى كان يعيش على رفى الملابس وكان يشترى مقدارا من كل فاكهة طازجة حينما تنضج، ويحملها إلي زوجته وأولاده، ويتناولها معهم، وكان يقول: (اقنعوا بهذا ولا تخدشوا جبين همتكم بالتفكير فى الزيادة ذلك أن طعم هذه الفاكهة لا يتغير كل عام، وليست عندى طاقة لشراء أكثر من ذلك

- كان فى أقصى الرى رفاء، اتجه بكل همته إلى رفى الملابس،
- وقد أحنى ظهره حمل عياله، ذلك أنه كان عنده حفنة من الصغار،
- وكان يواصل الليل بالنهار فى الرفى، لترقيع دلق معاشه،
- وكلما كانت تنضج فاكهة العام الجديد، كـــان خـــاطره يتعلق بها،

٢٢٠- وكان يسلك مئات الحيل حتى يـــأتى إلى أســـرته ممتلـــئ الجيوب، محمل الذراعين منها،

- وكان ذلك الشجاع يفرغها أمامهم حتى يـــأكلوا جميعـــا كفايتهم منها،
- وكان يقول لهم بعد ذلك: (أيها البؤساء يا من ولدتم على فراش البؤس والغم،

- لو يقع فى قبضتكم مائة حمل من هذه الفاكهة، فإن طعمها ورائحتها هى جميعا، كالتى بين أيديكم،
- فاتركوا الطمع والتمنى، وتعودوا القناعة،

٢٢٥- فما أنا إلاّ ذليل تحت قدم الفقر، وليس فى متناول يـــدى أكثر من ذلك.

فى بيان أن شحذ الهمة على ترك المعاصى يعتمد على مشيئة الله سبحانه، فحين توفق إلي ذلك فقد وجب الشكر، وإلا وجب الاستغفار

- إن التوبة كالزجاج والقضاء كالحجر، وليست للزجاج قدرة على التصدى للحجر،
- وحينما يأتى قضاء الله موافقا للتوبة، فإن التوبة تكون قوية الأساس،
- وإذا لم يأت قضاء الله موافقا لها، فليس هناك أفضل من الرضا بحكمه،
- فالقضاء هو الذى يهب التوبة وهو الذى يفسدها، وإنه لخطأ أن تنسبها لإنسان،

٢٣٠- فحين يوفقك الله بقضائه إلى التوبة، فعليك بشكره، وإذا لم يوفقك، فالتمس العفو كالمذنبين،
- فالتوبة هى الندم على ما فات، وترك المعاصى فى الحاضر،
- والعزم فى المستقبل على أن تقلل من الإقبال على المعاصى،
- فلو قُدّر أن همتك لم تكن صادقة، لأن الاختيار ليس فى يدك،
- فلا تنم فى غفلة عن إصلاح ذلك لحظةً واحدة، فحين تقع

في الوحل فلا تنم فيه،

٢٣٥- فاعزم على ترك المعاصي، وداوم على أن تكون رفيقاً،

- فلعل الله يعيدك إلى جادة الطريق بكرمه، ويعصمك مـــن الذنوب بتوفيق هذا العزم.

حكاية ذلك المدمن للخمر، الذى وصل إلي مراتب الكمال وحين سألوه عن سبب ذلك أجابهم بأن الفضل فى بلوغى ذلك أننى لم أكن أحمل كأس الخمر إلي شفتى إلا وأعزم على عدم تلويثها بأخرى من بعدها

- عزم عابد خمر على التوبة، وأن يلوذ من الذنوب بحصن التوبة،
- فارتفع قدره بالتوبة، وسقط فى أنشوطته صيد الولاية،
- فسأله رجل نافذ البصيرة: "يا من وضعت قدمك على حد الكمال،

٢٤٠- لقد جريت وراء الخمر سنوات، فبأى وسيلة بلغت إلى هذه الكرامة؟"

- فأجاب بقوله: (إننى كلما كنت أضع كأس الخمر على شفتى، من أجل السعادة والكرم،
- لم أكن أضمر فى الغالب تناول كأس أخرى بعدها،
- فلم يجل بخاطرى إلا أن أحول بين قلبى وبين بهجة الخمر،
- فوفقتنى بركة هذه النية، وفُتِحَ أمامى مائة باب للسعادة"

إشارة إلى الرؤيا التى شاهدها الناظم
أثناء نظم هذه الديباجة، وكيف بعث
تأويلها الراحة فى نفسه

٢٤٥- وحينما مضى بي الليل إلى هذا الحد من ذلك الخطاب، اختطفنى النوم أثناء تفكيرى،

- فرأيتنى وكأنى على طريق لا يدرك البصر مداه، نظيف ومضىء كضمير أهل السر،

- لا تثير ريحه الغبار، ولا يختلط ترابه بمائه،

- والخلاصة أنه طريق خالٍ من الغبار والطين، فسرت فيه مطمئناً،

- وفجأة دق سمعي صوت جيش يزمجر خلفي على هذا الطريق،

٢٥٠- وانتزع صوت القادة قلبي من مكانه، وطار لبي وخارت قواى،

- فبحثت عن وسيلة لدفع الضر عن نفسى، وظهر أمامى قصر عظيم،

- وحينما آويت إليه مسرعا كي أكون فى مأمن من أذى ذلك الجيش،

- (أبصرت والد سلطان الزمان بينهم، وهو حسن كاسمه وسيرته وصورته[1])،

---

[1] هو "أوزون حسن" من أسرة الخروف الأبيض، وقد اشتهر بجماله، وقد ساعد الجامى أثناء تأدية مناسك الحج، وقد مات قبل كتابة منظومة (سلامان وأبسال)، وخلفه ابنه يعقوب.

- وكان ممتطياً جواد فلك الرفعة، ووجنتاه مضيئتان، كما لو كانت الشمس والقمر عليهما،

٢٥٥ - وعليه ثياب ملكية، ولف على رأسه عمامة بيضاء،

- ولقد لوى العنان نحوى ضاحكا مسرورا، ففتح بضحكه هذا باب الراحة أمامى،

- وحين وصل إلى ترجل، وقبل يدى، وأخذ يلاطفنى،

- وسُرِرتُ من مداعباته هذه، وطربت من وسائل الدلال التى اصطنعها،

- وتناثر منه أثناء حديثه معى كثير من دُرَرِ القول، ولكن لم يعلق فى أذنى شيء منها،

٢٦٠- وحين نهضتُ فى الصباح من فراشى، سألت عقلى عن تعبير هذه الرؤيا،

- فأجاب: "إن ذلك جاء دليلا على رضا السلطان لقبول نظمك،

- فلا تتوان لحظة عن المضى فى هذا العمل، ولما كنت قد بدأت فيه، فعليك بالسعى فى إتمامه"،

- فلما سمعت منه هذا التأويل، كرست نفسى وقلبى للكتابة،

- فعسى أن يتحقق هذا التأويل بدوره – من نفس المصدر الذى نَبَعت منه هذه الرؤيا.

حكاية تأويل رؤيا الرجل الساذج على سبيل السخرية والاستهزاء على يد مؤول، وتحقيق الرؤيا من بعد ذلك، دون أدنى تبديل أو تغيير

٢٦٥- ذهب رجل ساذج، خالٍ من العقل والحكمة إلى مؤول أحلام،

- وقال له: "إنى شاهدت نفسى وقت الصباح، وكأنى حائر فى قرية خربة مهجورة،

- وكلما أبصرت مترلا من بعيد، وجدته خربا بلا جدران أو باب،

- وما أن وطأت بقدمى إحدى هذه الخرائب، حتى غاصت قدمى فى مكان كتر"،

- فقال المؤول لذلك المسكين بسخرية: "أيها العظيم يا من تستمد عظمتك من الكتر الإلهى"!!

٢٧٠- البس فى قدميك نعلين من حديد، وفتت بهما الصخور والأشواك واسحق بهما الجبال،

- وكلما حملت متاعك إلى أحد هذه الأماكن الخربة، دق قدمك بشدة على هذه الأرض،

- فأينما تغوص قدمك، فاحفر هذا المكان بأظافر يديك،

- وحينما ترى أنك قد خرقت الأرض بهذه الطريقة، فإننى لا

يخامرني أدنى شك فى أنك عاثر على الكنز"،

- فلما انصرف ذلك الرجل الساذج، عمل بقول المسؤول بيقين واعتقاد،

٢٧٥- فلم يكد يشعر أثناء بحثه بالألم، حتى غاصت قدمه فى الخطوة الأولى فى الكنز،

- فيجب أن تعتقد فى كل عمل مهما كان، حتى تصل إلى ما تصبو إليه،

- فإذا خالط إيمانك قليل من الالتواء والشك، فبحثك كله هباء، هباء.

بداية المقال عن شرح صورة حال
سلامان وأبسال

– كان فى بلاد اليونان ملك كالإسكندر، صـــاحب التــاج والخاتم،
– وكان فى عهده رجل حكيم، أقام صرح الحكم على أساس مكين،
٢٨٠– وكان أهل الحكمة تلاميذ له، يحيطون به من كل جانب،
– فلما عرف السلطان قدره، أجلّ من شأنه، وجعله رفيقا له فى الخلوة والصحبة،
– لم يكن يتحرك نصف خطوة إلا بتدبيره، ولم يكن يحقق أى رغبة إلا بأمره،
– ولم يكن يخرج لغزو العالم إلا برأيه، حتى سخر الدنيا مـــن أقصاها إلى أدناها،
– فصلح أمر الناس بعدله وسخائه، واستقام بنـــاء ملكـــه بذلك،
٢٨٥– فإذا لم يكن الملك نفسه حكيما، أو أنه لم يكن إلى جانبه من الحكماء من يكون له بمثابة صديق أو نديم،
– ضعف بناء قصر ملكه، وصار حكمه أبعد من أن يوصف بالعدل فى الغالب،
– إذ إنه يجهل الفرق بين صفات العدل والظلم، ولا يعرف التمييز بينهما،

- فيقيم الظلم فى مكان العدل، ويعتبر العدل كالظلم عارا،
- ويصير العالم خربا بجوره، وبسببه يصبح أســاس الملـــك والدين واهنا،

٢٩٠- فقد قال حكيم حكمة مفيدة: (بالعدل يقــوم الملـــك لا بالدين)،
- فالكافر الذى يسعى لتحقيق العدل، خير من المؤمن الظالم.

إشارة إلي أن الله- سبحانه وتعالي - قد أوحى
إلي داود - عليه السلام - بشأن
ملوك العجم

- قال الله تعالى لنبيه داود: ((قل لأمتك – يا سديد الرأى –
- إنهم حينما يذكرون ملوك العجم لا يذكرون أسماءهم إلا بالحسنى،
- فرغم أن دينهم كان عبادة النار، فإنهم كـانوا يحكمـون بالعدل والقسطاس،

٢٩٥- ولقد عمرت الدنيا بهم قرونا طويلة، إلا أنهم أبعدوا ظلمة الظلم عن رعاياهم،

- وظل أتباعهم فى مأمن من الأذى، ونعموا بالراحة بسبب عدلهم.

كيف تحقق أمل الملك المظفر فى أن يرزق بولد وحديث الحكيم فى هذا الباب

– حينما استقرت الدنيا للملك اليونـان، بتـدبير الحكـيم المشهور،
– وسخر له الدنيا بأسرها، وجعل منه الاسكندر الثانى،
– ولم يترك أحدا ذا نفوذ فى الدنيا إلا وأدخله تحت حكمه،
٣٠٠– وذات ليلة أخذ الملك يفكر فى أمر نفسه، ثم أدى فروضه بشكر الله المنعم،
– وجد أن خلعة السعادة قد اكتملت عليه، ونال كل مـا يبحث عنه من أسباب الرفاهية،
– إلا ولدا يخلفه فى العز والشرف بعد رحيله.
– فلما جاشت هذه الأمنية فى صدر الملك، تحدث عنها تـوا إلى الفيلسوف الحكيم،
– وقال له: "يا من ديدنك بذل النصح للملك، فليبارك الله أفكارك،
٣٠٥– إننى لا أرى نعمة أعظم من أن يرزق المرء بابن، ولا يوجد من هو أحب إلى الروح من صلة الابن،
– فبالابن تتحقق آمال المرء، وبالابن تخلد ذكرى الأب،
– فهو نورٌ للعينين، وبه يصير ترابك بستانا من بعد موتك،
– وهو يأخذ بيدك حين تتعثر، ويكون قدمك التى تمشى حين تصعب الحركة عليك،

- وبظهره يصير ظهرك قويا، ويتجدد عمرك برؤياه،

٣١٠- وهو فى ميدان القتال قاطع كالسيف، يمطر السهام علـــى رؤوس الأعداء كالسحاب،

- وحينما يشترك مع أقرانه فإنه يضحى بالروح، على حـــين أنهم يضحون بالأجساد،

- فشجاعته تكيد أعداءك، فكأنه إنما خلق من أجـــل قهـــر الأعداء.

حكاية ذلك البدوى الذى سمى أبناءه على أسماء الحيوانات المفترسة ، وخدمه على أسماء الحيوانات آكلة العشب

– ذلك المسافر من أجل تحصيل الجاه ، قضى الليل فى منزل بدوى،

– فرأى أن جملة أبنائه ، الصغار والكبار ، على أسماء الحيوانات المفترسة ، كالأسد والذئب ،

٣١٥– وكل مَنْ كان مِن خدمه على السواء كان يسمى خروفاً أو حملاً،

– فقال له: (يا شيخ العرب ، لقد أدهشتنى تلك الليلة هذه الأسماء!!)

– فقال له: (إن أبنائى الذين هم عشيرتى، مستعدون لقهر العدو ،

– أما الخدم فهم من أجل الخدمة، ودائما مشغولون بالضيافة،

– فيلزم وجود الذئب والأسد لقهر العدو ، لكى يجرؤ على قتل العدوّ ،

٣٢٠– أما للخدمة فيستحسن وجود الحمل أو الخروف ، حتى لا ينال أحدٌ من فعله أذى) .

فى ذمّ الابن العاق

– هذا الذى قلته هو حال الابن البار ، فالخير يرجع دائمـــاً لأصله،

– أما ذلك الابن الذى يكون سيئ الفكر ، سيّئ الطبيعـــة ، وفى خلقه آلاف الطباع السَّيئة ،

– فمن الخير أن يحذف اسمه من سجل الوجود ،فيوضع بذلك حَدٌّ لطباعه الخبيثة ،

– فنوح كان له ابنٌ عاق ، كانت طبيعته مليئـــة بـــالغرور والجهل ،

٣٢٥– فتحمّل ألم النبذ ، " إنه ليس من أهلك " (١) ، ولم يَرَ سبيلا للنجاة من الطوفان ،

– فطالما أن الأبناء ليسوا جميعا صالحين ، فلا تطلب مـــن الله أن يرزقك ابناً ،

– ثم تعود آخر الأمر فتطلب منه أن يقبض روحه .

---

(١) إشارة إلى الآيات الكريمة : ((يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم، وحال بينهما الموج فكان من المغرقين. وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين . ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم، إنى أعظك أن تكون من الجاهلين)) سورة هود. الآيات من ٤١ – ٤٦ .

حكاية شخص توسّل بأحد الأولياء ليرزقه الله ابنا ، ثم توسل بنفس الولي للخلاص من شرّ هذا الابن

– ذهب فضوليّ إلى شيخ ، وخاطره مضطرب بسبب عـــدم إنجابه،

– وقال : (ساعدني أيها الشيخ ، حتى يهبني الله السعادة ،

٣٣٠– فيرزقني بغُصْنٍ جديد ينمو من مائي وطيني ، يرتاحُ قلـــبي بوجوده،

– ويمنحني طفلا ، يضيء بصري بجماله).

– فقال له الشيخ : (لا تؤرق نفسك ، ودع الأمر لله ،

– فالله يعلم ما هو خيرٌ لك أكثر منك، في كل أمرٍ تحتاجه).

– فقال : (أيها الشيخ !! إني أسير هذه الرغبة ، فلا تحرمني عنايتك،

٣٣٥– فادع الله أن يعجل بتحقيق هذه الرغبة الجامحة) .

– فرفع الشيخ في الحال أكف الدعاء ، فانطلق ســـهم مـــن إبهامه أصاب الهدف ،

– فكان صيده ابناً كالغزال الصيني المضمخ بالمسك ، مـــن أماكن الصيد الغيبية ،

– فلما ترعرعت أغصان الشهوة وفروع الهـــوى في مائـــه وطينه،

– أخذ يحتسى الخمر مع رفاقه ، ويجرى وراء شهوته ،

٣٤٠– وفى مكان على حافة السطح ، أخذ يشاكس ابنة الجيران وهو ثمل،

– وجرى زوج الابنة أمامه ، ذلك أنه كان يريد أن يسفك دمه بخنجر ،

– فأبلغوا الأمر للحاكم ، فاستولى على أكياس الذهب من والده ،

– وكان هذا دأب الابن ليلا ونهارا ، حتى ذاع أمره فى القرية والمدينة ،

– ولم تكن النصيحة تؤثر فيه ، ولا العقاب يجدى معه ،

٣٤٥– فلما ضاق الأب من هذه الأفعال ، أمسك ثانية بذيل الشيخ ، وقال له : (ليس لي من معين غيرك ، فارحمني وأغثنى ،

– وادعِ الله بشأنه دعاء آخر ، وابعد عن رأسى أذاه) .

– فقال الشيخ : (لقد قلت لك فى ذلك اليوم لا تلح ، وابتعد عن هذا الدعاء ،

– فاطلب من الله العفو والعافية ، فإنهما يكفيانك فى كلا الدارين،

٣٥٠– فإنك حين تحزِمُ أمتعتك وترحل عن الدنيا ، فلن ينفعك ابنك أو ابنتك ،

– إنك عبدٌ فتقيّد بعبوديتك ، واقنع بكل ما يأتيك .

في ذم الحكيم للشهوة التى بدونها تكون ولادة الأبناء غير معهودة

- لما سمع الحكيم العبقرى قصة الطفل من ملك اليونان ،
- قال له : (أيها الملك !! إن كل من لا يتمتع بالشهوة يظل مغموما لحرمانه من الأبناء ،
- فالشهوة تعمى عين العقل والعلم ، وتجعل الشيطان أمـــام العين ملاكاً ،

٣٥٥- وحينما تطغى غوغاء الشهوة ، فإنها تنتزع الحكمـــة مـــن القلب ، والنور من العين ،
- وحينما يفيض سيل الشهوة ، فإنه يحيل مـــترل الســـعادة خرابا،
- فطريق الشهوة مليء بطين البلاء ووحله ، وكل من يسقط فيه لا يستطيع النهوض ،
- وكل من يتجرع جرعة واحدة من خمر الشهوة ، لا يرى طريقا للخلاص منها إلى الأبد ،
- فمن هذه الخمر القليلة يصبح ذليلا بعد عزة ، ذلـــك أن قليلها يؤدى إلى الكثير ،

٣٦٠- فإنك إذا تجرعت جرعة واحدة من خمر الشهوة ، تســـتقر لذتها فى فمك ،
- وتصبح هذه اللذة كالعنان فى أنفك ، تؤرقك ليل نهار ،
- فلا تقامر بروحك على طريق العدم ،فمن الصعب عليك أن تنهض ثانية بعد كبوتك .

حكاية شخص كريم رفض دعوة وضيع كى لا يتعود على مصاحبته الوضعاء

- أقام وضيع وليمة ، ودعا وضعاء المدينة ،
- ودعا شخصا كريماً كذلك ، وطلب منه أن يكلف نفسه مشقة الحضور إلى مائدته ،

٣٦٥- فقال الكريم : (إنه شخص جاهل ولئيم ، وإن قلبى لينفطر من هاتين الصفتين ،

- فلو يذهب أحدٌ إلى مثل هذا اللئيم ، ويتناول بعض الطعام عنده،
- فإن لذة ذلك الطعام - البعيدة عن مائدته - تظل فى أسنانه ،
- وحينما يدعونى حقير آخر ، فإن هذه اللذة هى التى تسوقنى إليه،
- ويمحى اسمى من بين الكرام ، ويظل اسمى فى عداد الوضعاء).

تدبير الحكيم ولادة طفل دون اللجوء إلي النساء ، وإحضاره مرضعة للعناية به

– ولما نفّر الحكيم – العاقل ، الحسن النيّة – الملك من شهوة المرأة
٤٠٠– عمل بعلمه تدبيراً تظل به عقول العلماء فى حيرة ،
– إذ نزع من صلب الملك نطفة – من غير شهوة – وأودعها مكاناً هادئاً غير الرحم ،
– وبعد مضى تسعة أشهر ، ظهر فى هذا المكان طفلٌ سوىّ من غير خلل،
– برعومة تفتحت فى الحديقة الملكية ، ونفحة هبّت من مُلك المعرفة ،
– فارتفع التاج بجوهره ، وسعد العرش بحظه ،
٤٠٥– فالدنيا بدونه خاوية ، وعين الفلك من غيره مجردة من إنسان العين،
– وبه تعمر الدنيا ، وبإنسان عينه تمتلئ عين الدنيا بالنور ،
– فلما وجدوه سالماً من كل عيب، اشتقوا اسمه من السلامة،
– فقد جاء جسمه وقوامه من السماء سالماً من الآفات ، فسموه ((سلامان))،
– ولما لم يكن له نصيبٌ من لبن أمه ، فقد اختاروا له مرضعة،
٤١٠ – جذابة كالبدر ليلة التمام ، عمرها أقل من العشرين واسمها ((أبسال)) .

- رشيقة القوام من قمة رأسها إلى أخمص قدمها ، كل جزء فيها جميل يأخذ بالألباب ،
- وكان الفرق الذى على رأسها كخط من الفضة ، شطر كومة من المسك قسمين ،
- وقد تدلّت جديلة الشعر على ظهرها ، كل شعرة منها تحمل مائة بلاء ،
- وقامتها شجرة سروٍ من حديقة الاعتدال ، توطأ فى ساحتها تيجان الملوك ،

٤١٥- وكانت جبهتها مضيئة كالمرآة ، أما حاجباها فكانا كالطلاء الأسود على هذه المرآة ،
- وحينما يزيل (حامل المرآة) الطلاء عنها ، يبقى على حافتها شكل كحرف النون ،
- وعينها كشخص ثمل نصف نائم ، متكئ على الورد ، تحت مظلة معطرة بالمسك ،
- وأذناها كصدف مُفضّض ، يلتقط جوهر الكلام من كل ناحية،
- وعلى خدها خط أزرق جميل، يزيّنها كما يزيّن النيل مصر،

٤٢٠ - ورغم أن هذا الخط قد أبعد عنها عين السوء ، فإنه جرّ شقاءً لا حدود له على عيون المسالمين ،
- وصفّ أسنانها كالدرّ الصافى ، وصندوق هذا الدرُّ الصافى ياقوتٌ خالص ،

– وفى فمها يضلّ فكرك طريقه ، وتصمت دعـــوى فكـــر عقلك ،

– ولا تنضجُ شفتها إلا بالسكر ، وهيهات بين السكر وبين شفتها!!

– وقد سالت قطرة من نبع ذقنها ، ووقفت معلقة بذقنها ،

– فبدا منها مزيدٌ من الحسن ، فأسماها أرباب النظر لُغداً ،

– وجسدها مُفضّضٌ كاللعبة الفضية ، وعنقها ممتد كعنـــق الإبريق،

– وثديها على جسدها كالفقاع الصافى ، الذى أثاره النسيم على صفحة الماء ،

– وبطنها مضيئة تحت ثديها بالنور ، فى بياض العاج ورقـــة السّمور،

– حتى لتقول الماشطةُ إذا رأت حسن تلك البطن إنها لا تقل فى رقّتها عن رقةَ ورق الورد ،

– بل إنها تركت علامة فيها ، حينما أشارت إليها بطـــرف إصبعها ،

– فأسماها الواصفون نافجة ، وهى نافجة يتناثر المسك منها فى القلب ،

– وكل من رأى ذلك الخصر النحيل ، فإنه لا يبغى سوى أن يحتضنه ،

– وعجزها بيدرٌ من ورد النسرين ، مستورٌ تحت إزارها من اللثام،

– وقد شطرت يداها كثر الرقّة شطرين – تدلّت – الأكمام منها كالفضة ،
٤٣٥ – ففي راحتها شفاء العليل ، (كما أنها تصب) طوفان النسيان على أسرار المهمومين ،
– فراحة الأحبة في يدها ، وإصبعها مفتاح قفل القلوب ،
– ويدها تدمى قلوب العاشقين ، وقد خضّبت يدها من دمائهم ،
– وأطراف أصابعها – مخضبة أو غير مخضبة – كالبندق الطازج ، أو كالعنب الصافى ،
– وأظافرها أقمارٌ مختلفة الأشكال ، تنخسف – هذه الأقمار – بالخضاب
٤٤٠ – وحينما زيّنت الماشطة أشكالها ، تركت فى رأس كل واحدة هلالا،
– وطالما أن الحديث قد وصل بنا إلى ساقها وفخذها ، فينبغي أن يتوقف اللسان عن الكلام ،
– فأنا أخشى أن يصل حديثي إلى موضع يتجافى الحديث فيه مع طبعي،
– فقد كان ذلك سراً عن الغرباء ، لم يختص به أحدٌ قط ،
– وإلا كان اللص قد سعى إليه ، وكان قد نهب كل ما هناك،
٤٤٥ – وحطّم الدّر والصدف الفضّى ، ووجد هناك غاية ما يتمناه،
– فكل ما يمكن أن تناله يد الآخرين ،فرفضه خيرٌ من عين قبوله.

حكاية ذلك المتشكك ، الذى توضأ من ماء البحر ، ثم أخذ يبحث عن ماءٍ أكثر طهارة منه ، لأنه يرى أن حيوانات البحر قد دنسته

- ذات مرة جلس شخص متشكك على شــاطئ البحــر ليتوضأ ،
- فرأى البحر مملوءاً بالأسماك والثعابين ، ورأى فيه آلافــا مؤلفة من الضفادع والسرطان ،
- ورأى طيور الماء تسبح فى أرجائه ، وتغــوص فى أعماقــه باحثة عن رزقها ،

٤٥٠ – فقال : ((إن هذا البحر يزخر بكل هذه المخلوقــات ، صباحاً ومساءً،

- فكيف يصح أن أتوضأ منه ؟ لا بد أن أتطهر مــن هــذا الوضوء،
- إننى أريد عيناً مثل ماء زمزم ، لا تدركها يد الغرباء)) ،
- فإن أصحاب القلوب الطاهرة بريئون ممــا قــد تســبّب المدنّسون فى نجاسته .

قيام أبسال بتربية سلامان، وتوليها رعاية هذا المخلوق الطاهر:

- أحضر الملك أبسال كمُرضعة لسلامان، السعيد الطالع ،
٤٥٥ - فشملته بثوب عطفها ، وغذّته من فيض لبنها ،
- ولما وقع بصرها على سلامان، تمزق ثوبها من هذه النظرة،
- فأحبت لطف جوهره من أعماق روحها ، ووضعته فى مهده الذهبى كالجوهرة ،
- وفقدت راحتها نهاراً ، وطار النوم من عينها ليلا ، حينما نظرت إلى وجنته التى تحرق الفؤاد ،
- وكان شغلها الشاغل ، من الصباح إلى المساء ، أن تعنى بمهده، فتحل أجزاءه وتعيد تركيبها بعناية واهتمام ،
٤٦٠ - وكانت تغسل جسده بالمسك وماء الورد تارةً ، وتغمس سُكّره فى الشهد الخالص تارة أخرى ،
- فما أن استقر حب هذا البدر فى روحها ، حتى أغلقت عين المحبة عمّن عداه ،
- ولو كان ميسّراً لها ، لوضعته - دون شك - فى عينها ، كإنسان العين ،
- فكانت لا تكاد تنتهى من إرضاعه ، حتى تنهمك فى عمل آخر،
- فترتب مهده أثناء النوم، وهى تحترق فوق رأسه كالشمعة،

٤٦٥- وكانت تزيّنه كاللعبة الذهبية ، حينما ينهض من النوم فى الصباح ،
- وتكحل عينيه الزرقاوين ،وتُحكم لفّ جسده بالملابس ،
- وتضع قلنسوةً ذهبية على رأسه بميل ، وتعلق على صدره طرةً سوداء ،
- وتربط حزاماً مرصعاً بخيوط من الذهب والياقوت على خصره النحيل ،
- وهكذا ظلت تتفانى فى خدمته ، حتى بلغت سنه أربع عشرة سنة ،
٤٧٠- وكان وجهه فى حسن البدر ليلة الرابع عشر ، وكان عمره أربعة عشر كبدره ،
- وأخذ جماله وحسنه فى الزياد ة، حتى تمكن حبه من كل القلوب.
- وتزايد حسنه مائة مرة ، وزادت المائة إلى ألف ، فاضطربت مئات الآلاف من القلوب بحبه ،
- وكان قوامه البهيج مثل الرمح الطويل، قد أشرقت شمسه،
- فكان كلما اختال بقوامه الفارع ، أصاب قلب كل إنسان منه جرح،
٤٧٥- وأينما ألقى بحرارته من هذا الارتفاع ، أحرق روح عالم بهذه الشمس،
- وجبهته بدرٌ ، وهذا النصف المحتجب شبيه بالهلال فى حالة الخسوف ،

– وأنفه كالألف ، وسط قمر كافورى تحت ذلـــك الهــلال المخسوف ،

– وعينه الثملة تبدو وسط الشقائق غزالا يوقع النـــاس فى شباكه،

– وخداه تتوجانه ملكاً على مملكة الجمال ، وقد اقترنت به عظمة المملكة ،

٤٨٠– وخاتم ملكه ياقوت ملتهب ، وكنز درّه وجـــوهره تحـــت الخاتم ،

– وتفاحُهُ الطازج فاكهة بستان الفردوس ، بوركـــت يـــد الزارع الذى زرع هذه الفاكهة ،

– وتفّاحةُ أعلى عنقه ينبوع اللطف ، وتحوم أرواح العطشى حول شفته ،

– وتعلو رقبته على من طلعتهم كالبدر ، وتقع فى أنشـــوطته رقاب المتمردين ،

– وقد ربط القدّيسون على ساعده تعويذة لدفع الضرّ عنه ،

٤٨٥– وفاقت قوّته قوةَ الأبطال جميعا ، وعلت يده على سواعد أصحاب الصدور الفضية ،

– وقد تعلقت جواهر أرواح العاشقين بأكمامه ، من اليمين ومن الشمال ،

– وراحة يده فاق نقاؤها الفضة الصافية ، وهـــى تســـحق أصحاب السواعد القوية ،

- ونقد الراحة فى قبضة كلتا يديه ، وبإبهامه توسم خير المنشورات،
- وكل ما قيل فى وصف جماله ، ما هو إلا جوهر مثقوب من بحر صورته ،

٤٩٠- فاصغ لى بأذن الروح ، واسمع طرفاً آخر من أحواله .

فى وصف حدة فهمه ، وجودة نظمه ونثره

– وكان طبعه الرقيق أحدّ من السيف فى الكلام ، فكان اللفظ يدرك المعنى قبل سماعه ،

– فكان معنى اللفظ يدخل فى أنشوطة ذكائه، قبل أن يدخل اللفظ أذنه،

– وكانت كافة ضروب الشعر أحد جواهر بحر طبعه ، وألوان النثر ثمارُ بستان لطفه ،

– وكان نظمه فى علوّ " الثريا " ، ونثره فى ارتفاع " بنات نَعْش " ،

٤٩٥– وكانت شفتاه الياقوتيتان متحفزتين للإجابة فى اللطائف ، وفهمه صافيا كالماء فى الدقائق ،

– وخطه ساحرٌ يشبه فى رقته تقاطيع الحسان ، وقف أمامه أصحاب الخطوط الجميلة فى حيرة كحيرة العشاق،

– وحينما يمسك بقلم الكتابة المسكى ، يصيح به اللوح والقلم : "أحسنت !!"

– فروحه ملهمة بكل حكمة ، وطرائف حكمته محفوظة ،

– حتى إن اليونانين أنفسهم ليقولون له حين يتحدث عن حكمتهم : ((نِعم البيان)) .

فى وصف زينة مجلسه ولهوه ، وأناشيد سحره

٥٠٠ – وكان يلعب النّرد مع رفاقه فى المساء ، حين يخلو قلبه من كل الهموم ،

– ويزّين مجلسه ويجعله كالفردوس ، ويطلب المطربين الذين يشبهون الحور ،

– وكان يخرج من ثوب الحياء حينما تشتد حرارة أنفه بالخمر ،

– فأحياناً يرافق المنشد ، وأحيانا يعزف الموسيقى مع المغنى ،

– فهو يدندن بشفاهه – التى تكسر السّكر – وكأنه المسيح الذى أعاد الروح إلى الجسد ،

٥٠٥ – وتارةً يصاحب عازف الناى ، فيحوّل نايه – بشفته – إلى قصب السكر ،

– ويمزج صوت الناى بالسكر ، فيملأ الآذان سكرا ،

– وتارة يأخذ الرباب من عازفها ، فيلهب النغمات الحارقة ،

– ويصب البندق الرطب على الوتر الجاف ، فيتطاير الشرر من الدرّ الرطب واليابس ،

– وتارةً أخرى يبدو كالطفل الصغير ، حينما يحتضن العود ويعرك أذنه ،

٥١٠ – ويثير الأنّات الحزينة، فيجعل الشيوخ يذرفون الدّم من أهدابهم،

- وتارةً يتغزل بصوت البلبل ، وأخرى يكرّس نفسه للقـــول والعمل ،
- وكان هذا ديدنه كل ليلة حتى السحر ، فكـــان يقضـــى الوقت هكذا مع رفاقه ،
- وحينما يستريحِ جسده من نوم السحر ، كان ينـــهض فى الصباح قاصداً الميدان .

وصف لعبه بالصولجان مع رفاقه، واختطافه الكرة من الآخرين

- وفى الصباح ، حينما كان ملك هذه الخيمة الزرقاء يتجه بجواده إلى ميدان الأفق ،

٥١٥- كان سلامان يخطو تجاه الميدان وسط الركاب ، نصف ثمل ونصف نائم ،

- فى جماعة من أصحاب الأصول الملكية ، صغيرى السّن ، ناضرى الوجه ، حديثى الشباب ،

- كلٌ واحد منهم زعيم لمعسكر الحسان ، آفة للمملكة ، بلاءٌ للوطن ،

- ويقتحم الميدان وفى يده صولجان ، ويقذف بالكرة الذهبية فى وسطه ،

- فكانوا يضربون الكرة بالصولجان واحداً واحداً ، طمعاً فى هدف ، فيتجمع حول القمر مائة هلال ،

٥٢٠- ورغم أن الجميع كانوا يضربونها بالصوالج ، فإن أسرعهم جميعاً سلامان ،

- فقد أخذها من الجميع بمائة دفعة ، فكانت الكرة بدراً وسلامان شمساً،

- وتعقب بصولجانه - الذى يشبه الهلال - البدر ، وهو يصيح ((هدف))، حتى مكان المرمى،

– فلو أن الكرة عادت من هناك مائة مرّة ، لكان مصيرها هو ذلك فى كل مرة،

– حقا ، إن الذى حالفته السعادة ، وتمتع بثمار الحظ ،

٥٢٥– ليس هناك صولجان تحت ذلك الفلك الأزرق يستطيع أن يلتقط الكرة من ميدانه .

فى وصف إمساكه بالقوس ، ورمايته بالسهام

– وحينما كان الملك ينعطف كأنه القوس إلى رمى السهام ، بعد لعبه بالصولجان ،

– كان يطلب من صفوة الرماة فى عصره قوسا مصنوعا من "الشاش"، لم يزوّد بالوتر بعد،

– ثم يزينها بالوتر بغاية من السهولة ، فيرتفع صوت الوتر من أطراف القوس ،

– ويمر يده عليها بخفة ورشاقة ، ويجذبها أول الأمر إلى أسفل أذنه ،

٥٣٠– وأحياناً كان يضع ثلاث ريشات من الطير عليها ، ثم يطلقها صوب الهدف ،

– فلو كان هذا الهدف نقطة فى هذا الكتاب الفيروزى، لتحولت هذه النقطة – دون شك – إلى علامة من الذهب،

– ولو أنه يطلق سهما محلّقا من إبهامه ، لكان مقره خط الأفق ،

– ولو لم يقف الفلك حائلا فى طريقه ، لتجاوز خط الأفق البعيد،

– لا ينجو من طرف سهمه زمن الصيد غزالٌ عدّاء ، ولا طائرٌ خفّاق ،

٥٣٥– إذ إن سهمه يسرع متجها صوب الهدف ، مثل طبعه السليم ، المعصوم من الخطأ .

في وصف جوده وسخائه، وبذله وعطائه

- وكان كفه كالبحر فى الجود والكرم ، بل إن البحر ما هو إلا زبدٌ من محيط عطائه ،
- فملأ ساحة الدنيا بالدرهم والدينار، بفيض سحابة كرمه ،
- ولا ينبغى الإسراف فى مقارنته بالبحر، فإن يــده تلقــى بالجواهر، فى حين أن البحر يلقى بالصدف ،
- و لا يتطاول السحاب إلى يد جوده ، لأن السحاب يجود بالقطرات ، على حين يجود هو بالأكياس ،

٥٤٠ – وإننى لو شئت أن أصف مجلس جوده وكرمه : فإن علىّ أن أقارنه بمعن وحاتم ،

- ولكن "معناً " بالنسبة له ممسك، و "حاتما " بخيــل ، دون جدل،
- تعوّد بسط الكّف حتى لو أنه .'. ثناها لقبضٍ لم تطعه أنامله
- فإذا أراد أن يطبِق يده ، فإن أصابعه لا تنحنى فى قبضته ،
- وإذا مرّ ببابه سائل ، تضرّج قلبه دماً من ظلم الفاقة ،

٥٤٥ – فيغرقه بإحسانه ، حتى ليفرّ مسرعاً من بلاطه .

حكاية فرار الشاعر - قطران - من كثرة عطاء ممدوحه فضلون

- كان " قطران " ذكياً ساحراً، قطرة من قلمه بحرٌ للأسرار،
- فقد أنشد مدحاً يزخر بفضل " فضلون " – بحر العطاء وأدبه –
- فلما وافق ذلك طبع " فضلون " ملأ ثوب الشاعر بالمال ،
- وفى اليوم التالى مدحه " قطران " ، فأعطاه " فضلون" ضعف ما أخذ قبل ذلك من الذهب والفضة ،

٥٥٠- وفى اليوم الذى يليه قام بنفس الصنيع، وأخذ يكررَ هذا الصنيع كل يوم،
- وأخذت تتضاعف صلة الشاعر ، حتى لم تعد له قدرةٌ على تحملها ،
- وحينما أقبل المساء قفز من مكانه كالبرق ، وحزم أمتعته وغادر بلاط "فضلون" الفاضل ،
- وفى الصباح طلبه فلم يجده ، فقال : " لقد أعرض المسكين عن هذه السعادة ،
- ذلك أن يدىّ تعوّدت على بذل الدراهم ، وصار هذا ديْدن كرمى معه ،

٥٥٥- ولكنه لم يتحمل هذا العطاء ، فولّى هاربا من هذه الأعتاب".

إشارة إلى أن المقصود من هذه المدائح هو مدح السلطان المظفر ، خلد الله ملكه وسلطانه

– وفى المساء بدأ العقل – ذلك الناصح الحلو الخطاب – العتابَ مُشفقاً ،
– فقال : " إلى متى يا جامى تشتّت فكرك عبثاً ؟ وإلى متى سحق هذا القلم الذى لا يمل ؟
– إن كل من ليس خالداً وسرمدياً ، سيغدو يوماً ما عدماً ، رغم أنه وجد يوماً ما ،
– فلا تضع غاية المقصود ، واقتصد فى مدح الملوك الفانية ".
٥٦٠– فقلت : " يا منبع الحكمة !! ويا من يتوقف الكلام على تفكيرك!!
– إن هدفى من هذا المدح ملكاً آخر ، هو المتوج الآن بإكليل السعادة ،
– فالأقاليم السبعة مسخّرة لأمره ، والبحار السبعة ما هى إلا قطرة من إحسانه" ،
– وخيرٌ أن يحجب وصف الخاصة عن العوام ، ولتطب أوقات ذلك العارف الذى قال :
– " خيرٌ أن يحجب وصف العاشقين فى لباس الآخرين !!".
٥٦٥– نعم ، ليس كل إنسان خليق بهذا السرّ ، ولا يفتح هذا الباب أمام كل صديق .

حكاية عاشق كان يرمز إلي حبيبته بالشمس والقمر وغير ذلك ، لدفع أذى الأعداء عنها

- جلس عاشق فى زاوية ، وهو منهمك فى التفكير فى نفسه ،
- وأخذ يؤلف بين الفينة والأخرى حكاية جديدة ، أو يبدع قصة لم تسمع قبل ذلك ،
- فتارة كان يتحدث عن القمر ، وتارة كان يتحدث عن ورق الورد بأكمامه السّوسنيَّة ،
- وتارة كان يتغنى بقوام السّرو ،وأخرى يتحدث عن الأعشاب التى تنمو من تراب جذوره ،

٥٧٠- فسمع غافلٌ ذلك من بعيد ، فاضطرب خاطره من ذلك الهراء،

- وقال له : " يا من طارت شهرته فى الآفاق بعشقه !! إن العاشق يتحدث عن حبيبه !!
- فكيف تكون عاشقاً وأنت تتحدث عن مسّميات أُخَر ؟ وما معنى نظمك جواهر الوصف فى أشياء لا قيمةَ لها ؟ " .
- فقال له : " أيها الجاهل بأمور العاشقين !! إنك لن تفهم لغة العاشقين !!
- إن هدفى من ذكر الشمس والقمر هو ذكر الحبيب ، وسرُّ هذا واضحٌ للعارفين !

٥٧٥- وحينما أتحدث عن الورد فإننى أقصد به جمال وجهها ، وحينما أتحدث عن السوسن فإننى أقصد بذلك شعرها ،

– وماذا تكون شجرة السّرو إذن؟؟ هي قوامها الفارع ، أما أنا فإني تلك الحشائش التي تنمو من تراب جذرها،

– فلو أنك تفهم لغتي ، فإنك لن تسمع مني إلا الحديث عن حبي لها " .

اكتمال حُسن «سلامان» وظهور عشق «أبسال» له واحتيالها لإيقاعه فى حبها

- ولما اكتملت لسلامان أسباب الحسن ، بلغ من البلاغة حدّ الكمال ،
- وزاد سروُ دلاله رقّة ، واكتسى بستان لطفه رونقا آخر ،

٥٨٠- ذلك أنه كان – فى بادئ الأمر – فاكهة فجّة ، فلما بلغت حدّ النضج

- ودّ قلب أبسال قطفها ، وتمنّت تذوّقها بعد القطاف ، ولكن هذه الفاكهة كانت على غصنٍ شاهق ، حتى إن وهق المتطلع إليها كان يعجز عن إدراكها ،
- وكانت أبسال بدورها جميلة كلها دلال ، أحاطت بكل أسباب الجمال،
- فأخذت تستعرض جمالها على سلامان ، بالتبختر والاختيال أمامه،

٥٨٥- وتارة تجدل من شعرها جديلة من المسك النّدىّ على جبينها ، كالسّلسلة المحكمة الحلقات ،

- لتقيد بهذه السلسلة – التى تهمم قلب العارف بالبهجة – أقدام قلب الأمير ،
- وتارة تمشط شعرها المسكى وتشطره ، وتجدل منه ضفيرتين ،

- لكأنما تعبرّ عن عدم راحة قلبها معه ، ولسان حالها يقول :
" إلى متى سأظل مكتويةً بحبه هكذا ؟ "
- وتارةً كانت تخطط حاجبيها المقوسين - كالدُّمى التى تحرق القلب - بجذور النّيلة ،
٥٩٠- حتى تستطيع - بسواد حاجبيها - أن تنتزع من روحه جذور الأمن والأمان ،
- وقد كحلت عينها بالكحل الأسود ، حتى تضله عن الطريق بهذا السّواد ،
- وقد حمّرت ورق الورد باللون الأحمر، حتى تَنْزع الصبر من قلبه،
- وثبّتت على خدّها حبّةً مسكية ، كى تصيد بها طائر قلبه ،
- فتارةً تفك القيد عن صندوق السكر الضيّق ، وتارةً تحطّم الختم من على درج الجواهر ،
٥٩٥- كى تصبح لقلبه حلوة كالسكر ـ فيجنى الجواهر من شفتها التى تناثر منها عذب القول ،
- وتارة كانت تستعرض الكرة الذهبية من طوق ثوبها ، تحت ذلك الطوق المرصّع بالجواهر ،
- حتى تجرّ رقبته - بهذه السعادة - إلى طوق العبودية ،
- وأحياناً تشغل يَدَها بعمل ، كى ترفع أكمام ثوبها ،
- حتى يرى ساعديها الجميلين بوضوح ، فيتصاعد الدّمُ إلى وجهه ،
٦٠٠- وأحياناً كانت تدقّ الأرض بعنف ، حينما كانت تقوم

لتأدية الخدمة ،
- حتى تطأ رأسه المتوجة بصوت حركة خلخالها ،
- وخلاصة القول أنها كانت تظهر أمام عينيه فى كل مكـــان بعثات الخدع والحيل ،
- فوضعت وجهها فى وجهه فى الصباح والمساء ، ولم تتركه غافلاً عنها لحظة من اللحظات ،
- فقد كانت تدرك أنه عن طريق النظر يؤثر العشق فى قلب العاشق ،

٦٠٥- فالعشق لا يستقر فى القلـــوب إلا بـــالتطلع إلى الــدُّمى الجميلة.

حكاية زليخا التى صورت جمالها فى جميع أنحاء منزلها وذلك كى يراها يوسف أينما ينظر فيهواها

- انظر إلى زليخا ، إن روحها مليئة بالأمل ، وقد شـيّدت قصراً أبيض كقلب يوسف ،
- لم يكن عليه أى رسم أو لون ، فكان كصفحة المرآة خالياً من الصدأ ،
- ثم طلبت نقاشاً بارعاً ، كى يرسم صورتها فى كل مكان ،
- فلم يكن ثمة ركنٌ خال من صورة لها ، جلست سعيدة ودعت يوسف ،

٦١٠- وكشفت الحجاب عن وجهها الجميل، ثم أبدت له رغبتها،
- فلما أشاح بوجهه عنها ، رغبة فى عدم سماع قولها ، رأى صورتها فى كل ناحية ،
- فلما تكررت رؤيته لصورتها ، مال إلى وصالها ،
- كان على وشك أن يستسلم لرغبتها ، وأن يضع فى فمها سكر الرغبة ،
- ولكن بدا له برهان من الغيب ، وأدركته فى التوّ عصمة الله ،

٦١٥- فقبض يده عن تحقيق رغبتها ، وتخلّى عن رغبته فى الوقت المناسب .

تأثير حيل أبسال فى سلامان وميله إليها

– لما عملت حيل أبسال عملها فى سلامان ، رغم كل مالـــه من الحلم والوقار ،
– اخترقت أهداب رموشها قلبه كالشوك ،وعضّــه ثعبـــان طرّتها الذى يشبه الوهق ،
– فخارت قوته أمام حاجبيها ، وصار الشهد أمامه مــراً ، حسرة على شفتيها ،
– واستلت عيناها النرجسية الساحرة نومـــه ، وانتزعـــت حلقات ضفائرها قوته ،
٦٢٠– فسالت دموعه على خده بلون الدم ، وضاق به العـــيش كلما تذكر فمها ،
– ورأى على خدّها خالاً أسود، فساء حاله بسبب هذا الخال الأسود،
– ورأى هذه الحلقات القلقة على خدها لا تستقر ، فصـــار قلقاً للرغبة فى وصالها ،
– وقد أخرجه الشوق عن الحياء، ولكنه كـــان فى ســـريرته حسن النية،
– فكان يقول فى نفسه : " لو أننى – لا قـــدّر الله – أذوق طعم الوصال ، فإن طعمه – يجلب على روحى الوبال ،

٦٢٥- ولن يدوم لى الوصال ، وسأبقى محروماً طول عمرى مـــن جاهى وجلالى،

- ذلك أن السعادة التى لا تخلّد المرء ، ليست هى غاية أمل العقلاء.

حكاية ذلك الغراب الأعمى على شاطئ البحر الملح الذى أرادت طيور الحواصل أن تعطيه ماءً عذبا ، ولكنه رفض

- يحكى أن غراباً كان يصاب بالعمى نهاراً كـــالبوم ، وقـــد استقر على شاطئ بحر ملح ،
- واتخذ من هذا البحر مورداً له ، وكـــان طعمـــه عنـــده كالسكر ،
- وتصادف أن طائراً من طيور الحواصل ، كانت حوصلته مصدر ما يمنح من عطاء ،

٦٣٠- ألقى بظل السعادة على رأس الغراب ، فلم تسرّه ميـــاه البحر ،

- فقال له : ((أقدم أيها المعاقب بهذه الملوحة ، فأعطيك ماءً عذبا من الحوصلة " .
- فأجاب : " إننى أخشى أن أتذوق طعم الماء العذب ، فلا أستطيب الملح فيما بعد ،
- سأظل بلا ماء عذب، وسينفر طبعى من شرب الماء الملح ،
- وأظل جالساً على شاطئ البحر ، ليل نهار ، جافّ الشّفة بين هذا الماء وذاك ،

٦٣٥- فخيرٌ لى أن أقنع بمائى الملح ، من أن أتألم من عدم وجـــود الماء أمامى.

٦

ذهاب أبسال إلى خلوة سلامان، ومتعة كليهما بصحبة الآخر

– حينما مال سلامان إلى أبسال ، ابتسم له الحظ ،
– فجدّد حبها القديم ، وتوثقت عروة أملها فى وصاله ،
– وأخذت تتحيّن فرصة كى تجد سبيلا إلى خلوة أبدية مع ذلك البدر،
– فتفوز برغبة قلبها من ياقوته، وتصل الروح الحلوة بشفته،
٦٤٠ – وذات ليلة دخلت عليه الخلوة ، وأسرعت نحوه وقد حملت له جوهر الروح على كفها ،
– وسقطت كالظل تحت قدميه ، ووضعت وجهها على قدمه تواضعاً ،
– فمدّ سلامان بدوره يد الرحمة إليها ، فى مائة عزّ ودلال ،
– وألقت بنفسها فى حضنه كالرداء ، وفاز برغبة روحه من ينبوعها الحلو ،
– وبدأ كلاهما يقبّل الآخر، ذلك أن التقبيل هو السبيل إلى الأحضان،
٦٤٥– وسحقت شفة كل منهما شفة الآخر، وأفعم كأس السرور حتى الحافة،
– ورغم أن شفة كل منهما قد اهتصرت شفة الآخر ، فإن جذوة حبهما لم تخمد ، وقد مزّقا ثوب الحياء بينهما نتيجة لعنفوان الرغبة التى تعصف برأسيهما ،

- وحلت العقد التى كانت بينهما ، وتأصل ميلهما للاتصال،
- فلدى أحدهما السكر ، ولدى الآخر اللبن ، وقد امتــزج السكر باللبن ،

٦٥٠- وقد ألقم فم روحيهما باللبن والسكر ، حتى اختطفهمــا نوم السحر الجميل.

نهوض سلامان من نوم الليل، وطلب أبسال إلي مجلس الطرب

- وحين بزغ الصباح – ذلك الجميل المسكى النقاب – استل أعواداً من ذلك الطاق الأسود،
- وكحل بكحل اليقظة أولئك الذين مازال النعاس عالقاً بأجفانهم من جراء الخمر الصافية،
- نهض الأمير من السّرير راضيا، بعينٍ مثقلةٍ بالنومِ من جرّاء سهر الليل،
- وبقلبه عذاب من خمار الليل، وخفقانٌ من الشوق إلى رفيق المساء،

٦٥٥- فودّ خاطره جرعة من فم حبيبه الياقوتى، لدفع الخمار،

- فطلب حبيبته – بعيداً عن الأغيار – وأجلسها بجانبه على الوسادة،
- وكشف نقاب الحياء عن جمالها، وأعاد معها وصال الأمس،
- ومرّ اليوم التالى على نسق سابقه، وكانت عين الدهر غافلة عنهما بالأذى،
- وامتدّ اليوم أسبوعاً، والأسبوع شهراً، والشهر عاماً، وينقضى الشهر والعام بلا ألم أو سأم،

٦٦٠- وكان كل هدفه ألا تنتهى سعادتهما وطربهما، نهاراً وليلا،

- ولكن الدهر المتقلب كان يخاطبهما من وراء الغيب

(قائلا): " ليس من دأبي أن أترك الأمور هكذا ،

- فما أكثر ما وصلت من الصداقة نهاراً ، ثم قطعتها ليلا ،
- وما أكثر ما منحت من السعادة ليلا، ثم لم أتركها لتشهد نور الصباح".

حكاية ذلك البدوى الذى رأى مائدة الخليفة فسرته ،
فقال : · سآتى دائما إلى هنا · فأجاب الخليفة :
· إنهم ربما يمنعوك · ، فقال البدوى : إن
الخطأ فى ذلك الوقت يكون منك لا منى · .

- ولّى بدوى وجهه شطر بغداد ، طلباً للعطاء ،

٦٦٥- وبعد انتظارٍ طويل ، دُعى إلى مائدة الخليفة ،

- فوُضع أمامه طبق - لم تمتد إليه يـــد - مـــن الفـــالوذج المصنوع من السكر وماء الورد ،
- دسمٌ حلوٌ كحديث أهل القلب ، لطيفٌ رقيقٌ كشفاه من يحطمن القلوب،
- ليس فى حاجة إلى أن يمضغه فم ، إذ حينما تضـــعه علـــى الشفة لا يلبث أن يأخذ طريقه إلى المعدة ،
- فلما نظّف فمه جيداً بعد تناوله ، قال للخليفة ، بلا خوف أو جبن :

٦٧٠- " يا من عرشك على قمة الأفلاك !! لقد قطعت الآن عهداً مع ربّى،

- لا أخطو خطوةً شطر أىّ إنسانٍ فى هذه الدنيا ،طمعاً فى الإفطار أو أملاً فى العشاء ،
- إلاّ نحو مائدتك أنت، حتى أشبع رغبتى من هذا الفاذلوج".
- فضحك الخليفة من هذا الكلام وقال :" يامن احتجبـــت عنك الأسرار الخفيّة !!

- إنهم ربما لايتركونك تدخل مرةً أخرى إلى هنا ، فلا تكلف نفسك مشقة المجىء كثيراً " ،

٦٧٥- فقال : " فى هذه الحالة – يا قبلة الأمن والأمان – يكون الخطأ منك لا منى ،

– أما أنا فسأبذل كل ما فى وسعى ، فإذا لم تسمح أنت لى ، فما هو ذنبى ؟ ".

معرفة الحكيم والملك أمر سلامان وأبسال
ولوم سلامان على هذا الأمر

– لمّا صار سلامان رفيقا لأبسال ، وقضى فى وصالها شهرا وعاما ،
– واعتزل خدمة الملك والحكيم ، انشطر قلب كليهما من هجره لهما شطرين ،
– فلما استفسرا عن حاله ، أخبرهما الأصدقاء بسرّه ،
٦٨٠ – فطلباه أمامهما لسؤاله ، وتحدثا معه فى كل أحواله ،
– وجاذباه أطراف الحديث عن الماضى والحاضر ، حتى استدرجاه بالكلام الذى يصبوان إليه ،
– وتيقّنا من صحة القصة التى تُروى عنه ، وأنها قصة حقيقية بلا زيادة أو نقصان ،
– وأدلى كلٌ منهما برأيه فى أمره ، وصمّما على إنقاذه ،
– واستقر رأيهما فى البداية على النصيحة ، فليس هناك عمل أفضل من النصيحة ،
٦٨٥ – فبالنصيحة يكمل كل ناقص، وبالنصيحة يتقدم كل متأخر،
– وبالنصيحة ينتعش كل قلب ، وبالنصيحة تحل كل مشكلة ،
– فالأنبياء ما هم إلا ناصحون قبل كل شيء ، وبهم صلح أمر العقل والدين،
– فكل من تنفس أنفاس النبوّة ، لم يهبط عليه من السماء سوى النصيحة.

نصيحة الملك لسلامان

- قال له الملك :" يا روح والدك !! ويا شمس المجلس المضيء فى قصر والدك!!

٦٩٠- إن عينى حظى مضيئة بك، وبك تصبح ساحه آمالى بستانا"،

- لقد أدميت قلبى كالشقائق سنين ، حتى حصلت على وردة مثلك ،

- فلا تسحب أذيالك من يدى كالوردة ، ولا تشهر شوك الجفاء علىّ كالخنجر ،

- لقد سحق التاج رأسى من أجلك ، وهاهو ذا العرش تحت قدمى من أجلك ،

- فلا تولّ وجهك شطر الأحبة البلهاء ، ولا تلق إكليل السعادة عن رأسك،

٦٩٥- ولا تُسْلم زمام قلبك لامرأة ذات جمال ، ولا تطأ عرش العظمة بقدمك،

- أين هو مكانك ؟ اللعب بالصولجان ، وامتطاء صهوة الجواد فى الميدان ،

- لا الإمساك بالطرر كأنها الصولجان فى اليد ، ولا الجلوس إلى جوار ذوات الصدور الفضية ،

- فلو أنك تقذف سهماً فى ميدان الصيد ، فإنك تارة تصيد غزالا وأخرى تصيد عنزة جبلية ،

- لا أن أراك كالعنزة الجبلية ، هدفاً للسهام ، من هذه الظباء التى تصيد الأسود ،

٧٠٠- فلتذهب ، ولتضرب بالسيف فى صفوف الرجال ، ولتطح الرقاب عن أجساد الأبطال ،

- لا أن تفرّ من الشجعان ، الذين يقهرون الرجال ، وتضع رقبتك أمام سيف امرأة ،

- بالله أن تترك هذه الخصال ، وإلا فإننى سأنهار من هذا الحزن ،

- فإننى لم أسترح سنوات من أجلك ، وعارٌ عليك أن تقتلنى هكذا.

إشارة إلى اغتيال "شيرويه" "خسرو" ونحس ذلك عليه

- حينما نام " خسرو " غارقا فى دمائه ، بعد أن قتله "شيرويه"، قال حكمةً لطيفةً بشأن "شيرويه " :

٧٠٥- ((ما أسوأ ذلك الغصنِ الذى ارتوى الماء من جذره ، ورفع رأسه من الماء معادياً هذا الجذر ،

- لما اجتث الجذر ، وأصبحِ الجو خالياً له ، سقط ذلك الفرع على الأرض يابساً ، غير ذى ثمر)) .

ردّ سلامان على الملك

– حينما سمع سلامان تلك النصيحة ، فاض بحر طبعه بجواهر القول ،

– قال : ((يا مليكى !! إننى رهن إشارتك ، وأنا التراب الذى تطؤه قدمك تحت العرش ،

– لقد وعيت كل ما قلته بروحى ، ولكنى ملول من نفاد صبرى،

٧١٠– ولكن ليس لقلبى المعذب طاقة للصبر على ما أمرت به ،

– فقد فكرت مع نفسى كثيرا فى الخلاص من هذا البلاء الذى ألمّ بى ،

– ولكننى كلما ألمت بى الذكرى من ذلك البدر ، وتأوّهت وتألمت ،

– ولو لمحت عيناى وجهها ، فإننى أحوّل وجهى عن كلا الدارين إليها ،

– وحينما أتطلع إلى وجنة ذلك المحبوب البهيج ، لا يبقى بخاطرى نصيحة أو رشد .

حكاية أنثى الثعلب وابنها

٧١٥- قالت الثعلب الأم لابنها الصغير حينما أرشدته إلى بستان فاكهة :

- ((التهم فاكهة كثيرة بقدر ما تستطيع ، وأسرع فى الخلاص من أذى الكلب)) .
- فقال : ((يا أماه !! كيف أستطيع أن أنفذ هذه النصيحة حينما أرى الفاكهة ؟
- إن الطمع فى الفاكهة يحجب عقلى ، وينسينى أذى الكلب)).

نصيحة الحكيم لسلامان

– فلما فرغ الملك من نصيحة سلامان ، سعى الحكيم جاهداً فى نصحه ،

٧٢٠– قال : ((يا راح البستان القديم الطازجة !! وآخر رسم بديع لقلم الكون !!

– وقارئ كتاب السبع والأربع ، وعالم صفحات الليل والنهار ،

– أنت خازن كنز آدم ، وأنت نسخة العالم بأسره ،

– اعرفْ قدرك ، ولا تهوّن من شأنك ، فإنك أرفع مما أقول ،

– ذلك أن يد القدرة التى سوّت طينتك ، قد نقشت كلمة الحكمة فى قلبك الطاهر ،

٧٢٥– فطهرّ قلبك من نقش الصورة ، ووجّه وجه المرآة إلى الحقيقة ،

– وينبغى أن تُغرِقْ مرآتك فى نور المعرفة ، كى يكون صدرك كنزاً للحقائق ،

– وغضّ الطرف عن هذا الجمال ، ولا تجدّ فى مصاحبة النساء ،

– ماهو الجمال ؟ (ماهى المرأة ؟) ، صورة مليئة بالعار والخطأ ، لا هى طاهرة الذيل ، ولا الصدر ،

– فلا تُفتن بمثل هذا المخلوق الدّنس ، ولا تَحِدْ عن طريق السلامة،

٧٣٠ – فإن النطفة فى جسمك هى مصدر قوة روحك ، وهـــى
قوت أعضائك وقَوة أركانك ،

– فيا من أنت فى صراع مع شهوتك بين الجسم والـــروح ،
احتفظ بها إن شئت ، وإن شئت فألقِ بها ،

– فقد كنت بادئ الأمر عالى المترلة ، وكـــان موكبـــك فى
السموات العلا ،

– فهوت بك شهوة نفسك إلى الحضيض ، وألقت بك أسفل
سافلين)) .

حكاية الديك والمؤذن

– قال مؤذّنٌ للديك – ذلك المتوّج العالى الـرأس– وقـت الصلاة:

٧٣٥– ((ليس هناك من يعرف الوقت مثلك ، وليس هناك مـن يجزع من فوات الوقت كجزعك ،

– وبهذه الحكمة – يا جميل الصوت – وجب أن تكون شرفة العرش مكانك ،

– فإلى متى تقود قطيعك من الدجاج فى أعمـاق الأمـاكن القذرة؟)).

– قال : ((لقد كانت منزلتى رفيعةً فى بداية الأمر ، فقذفت شهوة النفس بى إلى هذه الذلة ،

– فلو أننى كنت قد تخلصت من النفس وشهوتها ، لما كنت أضرب فى أعماق الأماكن القذرة ،

– ولكنت قد أصبحت رفيقا لـديك العـرش فى ريـاض القدس)).

رد سلامان على الحكيم

- لما سمع سلامان ذلك من الحكيم ، هبّت على مشامّه رائحة الحكمة؛
- فقال : ((يا من روح أفلاطون سعيدةٌ بك ، فليكن مائة "أرسطو" تحت أمرك ،
- لقد كانت العقول عشرة فى بداية الأمر ، فجعلتها أنت الآن أحد عشر،
- لقد وضعت وجهى على طريقك ، وأنا أقل تلميذ فى بلاطك ،

٧٤٥- لقد أدركت أن كل ما قلته هو عين الحكمة ، وأسرعت فى قبوله بروحى ،

- ولكنه واضح لرأيك الثاقب أن اختيار الأمر خارج عن إرادتى،
- إن قدرة الفاعل على قدرة القابل ، وليست القابلية بجعل جاعل،
- فكيف أنقطع فى النهاية عما كنت له قابلا فى البداية ؟
- بل إنه خارج عن نطاق قدرة الفاعل أن يعطى إشارة على النقيض من ذلك .

حكاية القروى العجوز وابنه

٧٥٠- سافر رجلٌ كريمٌ مرةً مع ابنه ، وقد وضعا أمتعة سـفرهما على ظهر جحش ،

- وقد دميت أقدامهما من مشقة الطريق ، وزاد المشـقة أن بدا أمامهما جبل ،

- جبلٌ هائلُ الارتفاع ، تحته بحيرة متموّجة ،

- وفوق هذا الجبل ممرّ فى غاية الضيق ، لدرجة أنّ قدّم الوهم كانت تعجز عن عبوره ،

- فلم يكن أحدٌ يستطيع المرور من هناك ، مالم يجعل بطـن قدمه كالثعبان

٧٥٥- وكل ما يسقط من ذلك الطريق الضيق ، يكـون مقـره أعماق البحيرة ،

- وفجأة اتجه الجحش إلى هناك ،فصاح الابن من ورائه : يا إلهى!!

- إن حمارى اتجه إلى هناك فلا تدعه يذهب ، واحفظه أينما يكون)) .

- قال العجوز : ((لا تصرخ يا بنى ، فإن زمام الأمر قـد أفلت من يده هو أيضا ،

- فلو أردت الحقيقة فاستقم ، فإنه من الخطأ أن تظن أن ثمة اختياراً)).

تأزم الأمر على سلامان من كثرة اللوم، وتركه الملك الحكيم وهربه مع أبسال

٧٦٠- كلما كانت الروح مضطرمة بالحب، فهى فى محنة إثر محنة، وغم تلو غم ،

- وخاصة إذا كان الحب مصحوبا باللوم ، ويكثر فيه قول الناصحين ،
- فيشق شأن الحب بسبب اللوم ، ويزداد قلق العشق بسبب اللائم ،
- فالعشق من غير لوم حماية للروح ،فإذا شابَهُ اللوم فهو إهدارٌ للدّم ،
- فلما سمع سلامان هذا اللوم ، بلغت - من الغم - روحه الشفافة الحلقوم ،

٧٦٥- فبدلاً من أن ينتزعوا حب أبسال من قلبه ، ألقوا الاضطراب فيه،

- وأصبح مذاق وصاله العذب مُراً واتجه قمر سعادته الوليد صوب المحاق ،
- فلم يكن يتنفّس فى مكانٍ ما إلا وانهال عليه مأتم من اللوم،
- فجرح سهم اللوم روحه ، وتضاعفت أحزان قلبه ،
- فروح الإنسان تَذْبُلُ من اللوم ، فأنى له بتحمله ؟

٧٧٠- وجُرح سيفٍ قاطع يمكن أن يحتمل ، ولكن ما الحيلة إذا توالت الجراح سوى الهرب ؟

- وأمعن فى التفكير أياما ، وأخذ يتأمل حال نفسه مرارا ،
- وبعد أن عانى طويلا فى تدبير أمره ، استقر رأيه أخيرا على الهرب ،
- وَوَطَّـــن وجدانه على ترك الوطن ، فأعدّ الرّحال من أجل الرحيل،
- فــلما أقبل المساء ، شدّ هودج الرحيل ، وجلس ملتحما بأبسال فيه ،

٧٧٥- فكـــان الهـــودج – بسلامان الساحر وأبسال الجميلة – كاللوزة ذات اللبّين ،

- وأســـند كلاهمـــا رأسه على كتف الآخر طوال المسير ، وحيـــنما يخلـــدان للنوم يلقى كل منهما نفسه فى حضن رفيقه،
- وتجاذب الكتفان ، فكان الهودج – لا قلباهما – هو ذلك المكان الضيّق ،
- فحينما تأوى المحبوبة إلى الصدر ، بعيدا عن الغرباء ، يزداد بهاء البيت بازدياد ضيقه ،
- وكـــيف يشـــق على عاشق مهموم طول الجلوس إليه من محبوبته؟

حكاية اتساع السجن الضيق على زليخا
أثناء مشاهدة يوسف عليه السلام

٧٨٠- حينما ألقى بيوسف الكنعانى فى السجن ، أحسّت زليخا بالضياع ،

- وضاق بها مسكنها كأنه السجن ، فكانت تتجه إلى سجنه كل ليلة ،

- فقال لها شخصٌ خالٍ من جرح المحبة ، لم يتذوّق فاكهة من بستان العشق :

- ((إلى متى تهرعين من هذا القصر الجميل ، قاصدةً نزلاء السجن كالمذنبين ؟))

- فقالت : ((لأننى لا أشاهد جمال الحبيب ، ومن ثم فإن ساحة الدنيا الرحبة أصبحت أمامى كسمّ الخياط،

٧٨٥- ولو أننى جلست معه فى سمّ الخياط ، فإن ذلك خيرٌ لى من مائة قصر)) .

ركوب سلامان وأبسال البحر ، ووصولهما إلي الجزيرة السعيدة ، واستراحتهما هناك ، وإقامتهما

- بعد أن ساق سلامان الراحلة أسبوعا ، وأصبح بعيدا عن يد الناصحين ،
- وبَعُد عن اللوم ، وأمِنَ النصيحة ، ألقى متاعه على شاطئ بحر،
- لا حدود له كأنه السماء ، وعيون البحر كأنها النجوم ،
- وامـــتداده البعيد لا تدركه الأبصار ، ويغطي عمقه ظهر الثّور والحوت ،

٧٩٠- أمواجـــه فى اضطرابها كأنها الجبال ، حتى صار وجه الماء متعرجا كأنه صفحة الصحراء ،

- أو كأنـــه ســـباق بـــين فصيلة من الجمال السريعة مختلفة المنطلق، فأزبدت وأرغت من شدّة السكر ،
- السّمك فيه ظاهرٌ جلي ، يتألق كأنه السيف المصقول ،
- حـــتى ليبـــدو أمـــام عين الملاحــظ السديد كأنه نقشٌ لأهل "الخطا "(١) على ديباج صينى ،
- وقـــد شق سطح الماء من كل ناحية ، كالمقراض الفضى الذى يشق الديباج الأزرق ،

٧٩٥- وإذا تحرك التمساح فى أعماقه ، أرهب التنين فى عليائه ،

---

(١) " الخطا " : اسم مدينة كان يقال إنها موجودة على حدود الصين.

– فلما نظر سلامان إلى هذا البحر ، لم يدّخر وسيلة تمكنه من عبوره ،
– فشاهد زورقاً كأنه الهلال على شاطئ البحر الأخضر ، فأسرع الخُطى نحوه ،
– فركباه مطمئنّين ، وأخذ القمر والشمس مكانهما من الهلال ،
– وأسرع الزورق تملأ الريح شراعه وألقى بصدره على الماء كالبط ،
٨٠٠– وراح يمخر عباب الماء بصدره صوب هدفه المنشود ،
– وكان له من القوس شكله ، ومن السهم انطلاقه ، فزاد ذلك من شدة سرعته على وجه الماء ،
– وبعد أن أبحرا فى الزورق شهرا، وذبل جمالهما بسبب نفس البحر،
– لاحت أمامهما وسط البحر غابة ، يجلّ وصفها عن نطاق كل فكر ،
– تجمعت صفوف الطير من كل أرجاء المعمورة فى هذه الجزيرة السعيدة،
٨٠٥– فهذه طيور (التذور) ذات التاج ، و (القمرى) ذات الطوق، قد راحت تختال أسرابا أسرابا فى ناحية،
– وفى ناحية أخرى وقف حشدٌ آخر يغرّد صفا صفا ، ويعزف أنغاما كالتى تنساب من الناى بمناقيرها ،
– والشجيرات الصغيرة متشابكة الأغصان ، تغرّد فيها الطيور الجسورة ،

- والفاكهة متناثرةٌ تحت جذوع الأشــجار ، اخــتلط يابســها بطازجها ،
- وتحت كل شجرة ينبوع ، اقتسمه الظل والشمس،
٨١٠- والغصنُ كأنه يدٌ أرعشها الهواء ، أو كأنه قبضةُ يدٍ مليئة بدنانير العطاء ،
- تسرّبت (الدنانير) من بين فرجة أصابعه، لأن قبضته لا تحكم الإمساك بها ،
- فكأنما هى " حديقة إرم "، تفتّح هناك برعوم ظهورها فى الخفاء،
- أو أنها جنة عدن سبقت يو م الحساب ، وقد كشــفت عــن وجهها النقاب ،
- فلما رأى سلامان حسن هذه الغابة ، كفّ عن التفكير فى أمر السفر ،
٨١٥- وأقام مع أبسال فى الغابة بقلبٍ خالٍ من كل خوف وطمع ،
- سعيدان سعادة البدن والروح معا ، كلاهما مغتــبط كــالورد والسّوسن ،
- صحبةٌ لا يشوبها تطفلَ الغرباء ، وراحةٌ صــافية لا تكــدرها الهموم،
- لا تصل إليهما سهام اللائمين ، ولا تدركهما مضايقة منافق ذى وجهين،
- فالورد فى الحضن ولا وخز من الشوك ، والكنز على الكتــف ولا لدغ من الثعبان ،
٨٢٠ - وناما طول الوقت فى المراعى الخضراء ، وطفقا يشربان من كل ينبوع،

– فتارة يتناجيان مع البلبل ، وأخرى يتناولان السكر مع الببغاء،
– وتارة يختالان مع الطاووس ، وحيناً يتبختران مع الحجل ،
– وخلاصة القول أنهما وصلا الليل والنهار فى الطرب والسعادة،
– وماذا بعد أن يكون الحبيب إلى جوارك ، بعيــداً عــن أعــين الرقباء؟

حكاية ردّ وامق على الذى سأله : ما هدفك من هذا البحث ؟

٨٢٥- قــال ثاقــب رأى لوامق سرا : " يا من تذوب من جرح عشق عذرا !!

- إنك تقضى عمرك فى البحث والطلب ، فما هو هدفك من هذا البحث والاستقصاء ؟

- لــيس فى أحضــانك ســوى ما تشتهى ، وليس هناك ما يعوقك عن هدفك "

- فقــال : " إن مرادى هو أن أُولّى وجهى مع عذرا صوب الصحراء ،

- وأن أستوطن قلب الصحراء، وأضرب خيمتى فوق ينبوع،

٨٣٠- بعــيداً عــن أعين الأصدقاء والأعداء معا ، وتهدأ روحى ويهدأ جسمى من كل المخلوقات ،

- فلــو أنــنى أذهب مائتى فرسخ أو مايزيد على ذلك كل ناحية ، ولا يقدم إلىّ من الإنس مخلوق ،

- وتتحول أعضائى شعرة شعرة إلى عيون ، وتصير " عذرا " هى قبلتى ،

- فأستقبلها بآلاف العيون، وأظل إلى الأبد ناظرا إلى وجهها،

- بــل إننى أريد أن أتخلى كذلك عن النظر ، وأتخلص من الثنائية وأصير أنا هى ،

٨٣٥- فحيـــث توجد الثنّائية يتحقق الانفصال ، وتكون الروح
أسيرة لجرح الهجر ،
- وحينما يضع العاشق قدمه فى طريق الوصال ، فلن يكون
هناك إلا واحد ، والسلام .

معرفة الملك رحيل سلامان ، وجهله أحواله ، وأمره بعمل مرآة كاشفة للعالم ، واطلاعه على أحواله

- بعد أن علم الملك ، بعد فترة من الزمن ، ذلك الفراق الذى يذيب الروح ، ويحول دون امتداد الأجل ،
- علا صياحه حتى بلغ عنان السماء، وأذرف الدم من عينيه،
- وقال : ((ينبغى أن يقتفى الناس أخباره فى كل مكان)) ، ولم يكن أحد على معرفة بهذا السرّ الدّفين ،

٨٤٠- إذ كان عنده مرآة كاشفة للعالم ، تكشف النقاب عن أسرار الدنيا بأسرها ،
- كقلب العارف ، لايخفى عليه ما فى العالم من خير أو شرّ ،
- فأمر أن يحضروا هذه المرآة أمامه ،كى يشاهد فيها وجنة غاية أمله ،
- فلما وقع نظره على وجه المرآة ، وقف على الأخبار المفقودة،
- ورآهما يتمتعان فى الغابة غير مكترثين بمصائب الزمان ،

٨٤٥- وكانا معاً بعيدين عن مشاغل الدنيا ، وفى نفرةٍ من أهل الدنيا بأسرها ،
- كلاهما سعيد بلقاء الآخر، لا يضمر أحدهما سوءاً لرفيقه،
- فلما رآهما الملك مجتمعين ، رقّ لهما ،

– وتألم قلبه من غير لوم ، ولم يتوان لحظةً واحدة حتى وفــرّ لهما

– كل مايحتاجان إليه من أسباب المعاش التى كان يعرفها ،

٨٥٠ – فما أطيب ذلك الرجل المضىء القلب ، ثاقب الــرأى ، الذى يفى بعهد المروءة ،

– فأينما يرى حبيبين معاً ، يرتشفان ســوياً كــأس الســرور والحزن ،

– وأرواحهما لا يعلوها صدأ الفراق ، وكأساهما فى مأمنٍ من صخرة الانفصال ،

– فإنه يشاركهما سعادتهما، ويكون مُعيناً لهما على ذلك الحظّ،

– ولا يفصم عُرى الارتباط بينهما ، بل يزيد عقدة التماسك بين روحيهما،

٨٥٥– والحق أن كل ما يقع للتعساء، إن هو إلا من قبيل الجزاء ،

– فاصنع خيراً ، كى يأتيك الخير ، ولا تصنع سوءاً كــى لا يلحقك الأذى.

حكاية عقاب ·شيروية·· لأبرويز ·على ما صنعه مع ·فرهاد·

- أدار حافر الجبل " الذى كان يشارك أبرويز – وجهه إلى "شيرين" الفاتنة ،
- وأدركت " شيرين " ميل قلبه إليها ، وكانت هى الأخرى تهواه ، كما تعلم ،
- فالتهبت غيرة العشق ، وأحرقت الصبر عند خسرو ،

٨٦٠– فدبّر حيلة بأن جعل ساحرة الزمن تصب السمّ فى كـأس "فرهاد" ،

- ورحلت تلك الروح المفعمة بالأمل والرغبـة ، وانفـرد "أبرويز" " بشيرين " ،
- ولم يكن مفرّ من أن يطبقّ الفلك قانونه الأبدى ، فمكـنَ سيف الحقد من يد " شيرويه " ،
- ففصله عن " شيرين " بطعنة واحدة ، وألقى به بعيدا عن سرير الطّرب .

حزن الملك من تمادى الشعب فى الحديث عن صحبة سلامان وأبسال ،و منعه من التمتع بها بقوة سلطانه

– حينما رأى ملك اليونان سلامان فى دعةٍ مع أبسال ، وقد نال وصالها،

٨٦٥– وانقضى عمره غير نادمٍ عليه ، وظل سادرا فى غيةَ ،

– وخلع تاج المملكة عن رأسه، مستبدلاً به تاجها ، متباهياً،

– وشاء حظه أن يلقى بتاجه تحت قدميه ، ليهـــوى عرشـــه مقبلاً قدميها،

– أشعل الحزن النار فى قلبه، وانتابته الكآبة من هول ما رأى،

– فسلَط قوة إرادته على سلامان ، فمنعه من أبسال كليةً ،

٨٧٠– فكان يسرع إليها بين الحين والحين ، ولكنه لم يستطع أن ينال شيئاً منها ،

– ويرى وجهها فتخفق روحه ، دون أن يبلغ وصالها ،

– فكبا فى طريقه الوعر أمام هذا الاحتيال ، فالحمار نفـــق ، والأمتعة قد هوت على الأرض ،

– فهل هناك شىء أشد إيلاماً للمفلس من أن يكون خاوى الكيس ، والكنز أمامه ؟

– وأى شىء أقسى عذاباً لأهل الجحيم من اكتواء أرواحهم بالنار، والفردوس أمامهم ؟

- فلما طالت هذه المحنة على سلامان ، فتح أمامه باب الراحة ،
- واستبان له أن هذا من صنع أبيه ، وعساه أن يأخذ بيده من هذا المأزق،
- فولّى وجهه شطر والده خائفاً حزيناً ، تائباً معتذراً ، طالباً العفو،
- حقا !! إن ذلك الطائر السعيد الحظ، يعود بالأمتعة فى نهاية المطاف إلى مقرّه .

حكاية شخص سأل حكيما: ((من هو الابن الشرعى ؟ وما هى شرعية الميلاد ؟)) وإجابته عليه

٨٨٠- سأل تلميذٌ حكيما قائلاً: ((أيها المهندس!! من هو الابن الشرعىّ ؟)).

- فقال : هو الذى يشبه فى النهاية والده ، سواء أكان عاقلاً أم غبياً ،

- فإذا لم يشبه والده بضعة أيام ، فإنه يصل نفسه فى النهاية بوالده ،

- وما لم تكن حاله شاهدة على هذا المعنى ، فتأكد أنه ابن حرام ،

- فتلك الذُّنيبة التى تنمو فى حقل القمح ، ويزدان حقل القمح بها ،

٨٨٥- رغم أنها تشبه القمح فى بداية الأمر ، فإنه حينما يأتى زمن الحصاد فى المزرعة ،

- يتضح أن حبوبها ليست قمحا ، وتفقد صفة القمح واسمه .

وصول سلامان أمام الملك ، وإظهار الملك الشفقة عليه

– حينما رأى الملك وجه سلامان ، وتخلصّ من فراقه الـــذى يقصر العمر ،

– طبع قبلات الرحمة على جبينه ، ووضع يد المحبة فى لطف على كتفه ،

– (قائلا) : ((يا من وجودك ملـــح مائـــدة الإحســـان ، وجمالك إنسانُ عين الإنسان ،

٨٩٠– أنت غصْنٌ حديث النموّ فى روضة الروح ، وأنت شمـــسٌ أخرى فى السماء ،

– وأنت زهرةٌ حديثة النموّ فى بستان السعادة ، وبدرٌ فى برج المملكة ،

– ومعسكرك هو ساحة الآفاق ، وعلى أعتابك يضع العصاةُ جباههم ،

– إنك جديرٌ بالعرش والتاج ، من إخمص قـــدمك إلى قمـــة رأسك ، فالعرش والتاج لا قيمة لهما بدونك ،

– فالتاج لا يليق على رؤوس السفلة ، والعرش ينبغـــى ألاّ يوطأ تحت أقدام الأدنياء ،

٨٩٥– فالمُلك مُلكك فخذه ، ولا تخرجه من سلالتك ،

– وانفض يدك من هذه الغانية ، فالمُلك وعبادة الغانيات لا يجتمعان ،
– وامحُ من يدك خضاب هذه الجميلة ، فإماً أن تكون ملكاً أو عابد جمال.

فى بيان الخصال الأربع التى هى من شروط الملكة

- إن شروط الملكة أربعة أشـياء : الحكمـة، والعفـة ، والشجاعة، والكرم ،

- وليست الحكمة فى الاقتداء باللئيم ، أو أن يكون الكريم أسيراً لهوى المرأة ،

٩٠٠- وليس من العفة أن يلوث المرء العاقـل ذيلـه بصـحبة السفهاء،

- وليس من الشجاعة أن تخرجه امرأةٌ عاهرة مـن زمـرة الإنسانية ،

- وليس من الجود فى شيء ذلك الذى لا يمرّ إلا من الموضع الذى تحيط به الدناءة ،

- فكل من ليس محلّى بهذه الخصال الأربع ، فإنه لا يتمتـع بعروس الملكة ،

- وكيف للملك أن يقيم وزناً لمن يصيبه خلل فى إحدى هذه الخصال ؟

٩٠٥- وبهذا أكون قد أتممت كلمة الحكمة ، وذلك هو الـذى ينبغى أن أقوله، والسلام .

ضيق صدر سلامان من لوم والده، وتوجهه صوب الصحراء، وإضرامه النار، واقتحامه لها مع أبسال، واحتراق أبسال ونجاة سلامان

- من هو أكثر ذلّة فى العالم من العاشق ؟ إنه ليس هناك شيء أكثر صعوبةً من شأنه ،
- إذ لا يغادر أسى الحبيب قلبه ، ولا تحقق له رغبة ،
- ومصدر ضيقه لا يفتر ، طعنةٌ من الأشرار ونصيحةٌ من الأخيار،
- فلما سمع سلامان هذه النصائح ، تمزّق ثوب راحته ،

٩١٠- وضاق ذرعاً بالحياة ، واستقر رأيه على أن يتخلص من الحياة،

- فطالما أن الموت والحياة سواء ، فإن الموت يكون خيراً من الحياة ،
- فولّى وجهه مع أبسال صوب الصحراء ، ووضع قدمه فى ساحة الهلاك ،
- وقطع أكواماً من الخشب من كل ناحية ، وجمعها كلها فى مكان واحد،
- وكان قد جمع جبلاً عاليا من هذه القطع ، وأضْرمَ النار فى هذا الجبل،

٩١٥- وكانا سعيدين برؤية اللهب ، وأمسك كلاهما بيد الآخر واقتحما النار،
- واطلّع الملك على هذا الأمر بالغيب ، وكان قد أصرّ على إهلاك أبسال،
- فركز همته على تحقيق مطلبه ، فأحرقها وترك سلامان ،
- فقد كان أحدهما ذهباً ، وهذه دخيلة على الذهب ، فبقى الذهب خالصاً وذاب الغشّ ،
- فإذا ألقى الذهب المغشوش فى النار ، فإن تأثيرها لا يعمل إلا فى غشه،
٩٢٠- فإن لأعمال الرجال نصيباً من عند الله ، وهذا ليس غريباً على همة الرجال ،
- وهذا جليٌّ أمام كل ذى همة ، ولا ينكره إلا من ليست له همة.

حكاية المنافق والمؤمن الصادق ، الذى لف ملابس المنافق فى ملابسه ، وألقى بها فى موقد ، فاحترق رداء المنافق ، وظل رداء المؤمن سالما

– كان عابدٌ – متوقدٌ كاللهب بكسبه وعمله – أمامه موقد نار،

– فالتحم مع منافق متردّد فى دينه ، فى سبيل تثبيت العقيدة ،

– فقال له المنافق: ((إذا كان عندك دليل ، فهيّا أحضره!!)).

٩٢٥– فطلب منه المؤمن رداءه فى البداية ، ولفّه وجمعه فى ردائه ،

– وقذف بالرداءين وسط موقد النار ، فاشتعلت النــار فى رداء عدّو الدين،

– وبقى رداء رجل الدين سالماً ، فانظر حينئذ خاصية نــور اليقين،

– فاحترق ذلك الذى بالداخل ، كالقشّ والشــوك ، أمــا الذى بالخارج فبقى سالماً .

بقاء سلامان بعد أبسال ونواحه
على فراقها

- ما أعجب حال العاشق المسكين فى تنازع الليل والنهار !!

٩٣٠- ذلك أن كل سهم من سهام البلاء يتلاحق بأستمرار ويصيبه من قوس الفلك ،

- فلا يكاد يمرّ من حلقومه خنجر ، حتى يعقبه من قذاله خنجر آخر ،

- ولو يكفّ صديق عن ظلمه، فإن حجرا من أحد الأعداء يصيبه،

- ولو يمرّ حجر العدوّ من فوق رأسه ، فإنه ينال نصيباً من طعن اللائمين

- وإذا نجا من كل هذا ، فإن رئيس النّفى يسفك دمه بالسيف ، بمائة ألم وحسرة ،

٩٣٥- فلما أضرم سلامان جبل اللهب ، واحترقت أبسال فيه مثل القش ،

- ررحلت رفيقته ، وبقى هو وحيدا ، وظل وحده جسداً بلا روح ،

- صاح صيحة محرقة للروح ، وصلت عنان السماء ، امتزجت أطراف أهدابه بدم قلبه ،

– وضرب دخان آهته خيمةً علىالأفلاك ، وشــق الصــبح الجيبَ من حزنه
– وبعد أن أطاع نفسه فى تمزيق صدره ، وأصبح صدره كله مخالب كالصقر ،
٩٤٠ – وعذّب نفسه بمخالبه ، حتى لم يعد ظفر من مخالبه سليماً ،
– ضرب قلبه بحجر ، وكان هذا بلا شك الدليل القاطع على وفائه ،
– ولما استقر غبار ذلك الحجر فى قلبه ، خرج نقده كامــل العيار،
– فلما خلت يده منها ، عضّ ظهر يده بأسنانه فى يأس ،
– ولما لم يَر يده قابضةً على راحة حبيبته ، مزّق قبضة يــده بأسنانه،
٩٤٥ – ولما رأى يده خالية من هذا الجوهر ، عضّ أنامله بأسنانه ،
– ولما لم يعد يشاهد تلك الشفة الحلوة فى مكانهـا ، مضــغ أصابعه كقصب السكر ،
– ولما لم تتكئ ركبتها إلى ركبته ليلاً ونهارا ، فقد جعل ركبته زرقاء من اللطم ،
– وكان يتجه كل ليلة إلى ركن فى البيت ، ويتنــاجى مــع خيال الحبيب.
– (قائلا) : ((يا من أحرقت روحى بفراقك ، وحرمــت عينى من جمالك))،

٩٥٠- لقد كنت أنيس روحى زمنا ، وواهب النور لعينى الباكية !
- إن لى منزلاً فى حىّ وصالك ، وقد ثبّت عينى على شمع جمالك ،
- وكنا سعيدين بالنظر كلانا إلى الآخر ، وكلانا فى مائة سرور بوصال الآخر!
- وكنا نحن الاثنين معاً فحسب ، لم يشغل أحد أمرنا ، ولم نشغل بأمر أحد،
- وقد كفّ الفلك يد ظلمه ، وكانت الأمور - تسير - على ما نشتهى ،
٩٥٥- فكنا ننام الليل وكلانا فى حضن الآخر ، ونهمس السّر نهاراً كلانا فى أُذن الآخر ،
- ولم يكن يتدخل أحدٌ بيننا، ولم يعرف أحد شيئاً عن مكاننا،
- فيا ليتنى احترقت - حينما أضرمت النار - وكنتِ أنتِ الباقية،
- ويْلى !! وقد احترقتِ أنتِ ، وبقيتُ أنا ، أو ليس هذا هو طالعى السّيء ؟!
- فيا ليتنى كنت أنا الآخر معك ، وسلكت معك طريق الفناء !
٩٦٠- وهربتُ من الوجود التّعس ، والتحقت بالسعادة الخالدة .

حكاية البدوى الذى فقد جمله ، وكان يقول : يا ليتنى فقدت معه ، حتى يجدنى معه كل من يعثر عليه .

- ذلك البدوى الذى جدّ جمله فى السّير فسقط من على الجمل بعين مُثقلة بالنوم ،
- فلما شعر الجملُ بقوّته - لخفّة حِمله - بدأ يزيد من سرعته ،
- ولما استيقظ البدوى فى الصباح ، لم يستطع مطلقًا أن يعرف مكان الجمل ،
- فقال : " ويلاه !! لقد فقدت جملى ، وظل خاطرى مملوءًا بخياله،

٩٦٥- يا ليتنى فُقِدت معه أيضا ، حتى لا يقع على رأسى هذا الظلم ،

- فأينما كان يذهب كنت معه ، فأسلك ناحيةً واحدةً ، بدلاً من هذا البعاد ،
- فكل من يجد ذلك الضال ، يجده فى نفس المكان هائمًا معى".

سماع الملك عن حال سلامان، وعجزه عن تدبير أمره، ورجوعه إلي الحكيم لتدبير ذلك

– حينما بقي سلامان بعد أبسال هكذا ، وكان حاله على هذا النمط ليلاً ونهارا ،
– كشف أصدقاؤه السّر أمام الملك ، فذابت روحه من ذلك الحزن ،
٩٧٠– فقد تسبّبت له أبسال فى ما يزيد عن مائة حزن ، وبغيبتها أصابه حزن فظيع كالجبل ،
– فقد كان معها فى همّ ، وبدونها فى غمّ كذلك ، ولم يختف الغم من قلبه ،
– إن قبة الفلك منزلٌ غريبٌ للحزن ، وخرافة أن تكون فيه بلا غم ،
– ذلك أنهم حينما عجنوا طينة آدم – منذ البداية – وخلعت عليها الصورة ملائمة لقوامه ،
– أمطرت عليه سحابة البلاء – من رأسه إلى قدمه – مطر الغم أربعين يوما ،
٩٧٥– ولما انقضت الأربعون ، أمطرت سحابة الطرب على رأسه يومًا حتى المساء ،
– فلا عجب إذا لم يوجد شخصٌ خالٍ من الحزن ، ذلك أنه لا يجد سرورًا إلا بعد أربعين غمًا ،
– وحيث إن مطر السعادة كان نهاية المطاف ، فإن خاتمة الأمر تستقر على الفرح والسرور ،

- ولكن العاقل يدرك أن هذا الاستقرار يكــون فى الــدار الآخرة ،
- فحينما رأى الملك سلامان فى ذلك المأتم ، أصاب قلبه مائة جرح من الألم والغمّ ،
٩٨٠- ولم يستطع أن يعالج هذا الأمر على الإطلاق ، فالتوى حَبْلُ روحه وتعقد ،
- وعرض الرأى على ذلك الحكيم العالم ، (قائلا) : " يــا قبلة رجاء العالم وخوفه !!،
- أينما يكن شخصٌ يائسٌ فى مشكلة ، فــإن حــلّ تلــك المشكلة يأتى من فكر قلبٍ مضىء،
- واليوم أنت القلب المضىءُ فى العالم ، وأنت حلاّلُ عقــدة كل مشكلة ،
- لقد احترقت أبسال ، وكرّس سلامان وقته مأتمًا من الحزن عليها ،
٩٨٥- ومن المحال إعادة أبسال ، ولا توجد أىّ وســيلة لعــلاج سلامان،
- لقد تحدثت ، وهذه هى مشكلتى أمامك ، فابحــث عــن علاج من فكرك الثاقب ،
- وارحمنى ، فأنا فى شدة اليأس ، وقد أصبحت مرغماً فى يد مائة حزن"،
- فأجابه ذلك الحكيم العالم : " يا من لم يتحوّل رأيك عــن طريق الصواب !!
- إن لم ينقض سلامان عهدى معه ، ويدخل فى ربقة طاعتى،

٩٩٠– أحضرت أبسال إليه فى التو ، مرة أخرى وكشفتُ عنـــه هذا الحال ،
– وعالجت أمره فى بضعة أيام ، وجعلت أبسال رفيقًا دائمًا له"؛
– فلما سمع سلامان هذا من الحكيم، استسلم كليًا لأوامره،
– وبدأ فى كنس الشوك والقاذورات من بابه ، وأطاع كل ما قاله بروحه،
– فما أحسن ما يصير المرء ترابًا لباب إنسان كامل ، ويصبح عبدًا لأمر صاحب القلب،
٩٩٥– فاسمع هذه الحكمة التى قالها الحكيم ، فهى جوهر مثقوب غاية فى الحسن والجمال :
– "كن حكيماً بلا سفسطة أو حدة ، أو اهـــرع إلى ظـــلّ شخصٍ حكيم ،
– فإن الصدع الذى يحدث فى المزاج – بسبب الجهـــل – يعالج عن طريق الحكيم والحكمة " .

انقياد سلامان للحكيم ،وتدبيره أمره

- حينما أسلم سلامان الأمر للحكيم ، أقام فى ظل عطفه ،
- وكان الحكيم مفتوناً بانقياده، فاستخدم السّحر فى تعليمه،
١٠٠٠- وصبّ خمور السعادة فى كأسه ، وصب شهد الحكمة فى حلقومه،
- فأصبحت روحه سعيدة من تلك الخمر ، وأصبح حلقومه ناثرًا للسكر من ذلك الشّهد ،
- وكان كلما تذكر أبسال ، تألّم لفراقها ،
- فلما علم الحكيم ذلك الأمر ، صنع صورة أبسال ،
- وكان يجلوها أمام عينه ساعة أو ساعتين ، فيزرع فى قلبه بذرة السكينة ،
١٠٠٥- وكان يزيل الصورة حينما تسكن قوة هذا العناء والألم ،
- فإن إرادة العارف إذا قويت ، تخلق كل ما تريد بغير مشقة ،
- فإذا غفل عنه لحظة ، فارقته صورة الوجود ،
- وكان حينما يشرع فى الحديث ، يعرض بين الحين والحين للزهرة يصفها ،
- فكان يقول : " إن الزهرة هى شمع جمع النجوم ، يختفى أمامها جمال الحسان جميعا ،
١٠١٠- ولو أنها تظهر جمالها ، فإنها تذهل الشمس والقمر ،
- فليس هناك من هو أكثر حدة فى الغناء منها ، ولا أكثر إثارة للحيوية فى مجلس الطرب منها ،

- فأُذُنُ الفلك مليئةٌ بنغمة ربابها، وهو فى رقصٍ مستمر بسبب نغمتها ".
- وحينما سمع سلامان هذا الكلام ، وجد نفسه يميل إليها ،
- فلما تكررّ هذا الكلام مراراً ، وجد أن ذلك الميل يزيد فى قلبه،

١٠١٥- ولما أدرك الحكيم هذه الحقيقة عنده ، ركّز تأثيراً عظيمـــاً على الزهرة ،
- فجعلها تبدى جمالها كله ، وعملت عملها فى قلب ســـلامان وروحه ،
- ومحا صورة أبسال من عقله ، وثبّت حب الزهرة عنده ،
- فرأى الجمال الدائم ، وترك النفاق ،وفضّل العيش البـــاقى على الفانى.

بيعة الملك وعظماء دولته لسلامان
وتسليمه عرشه وتاجه

- ما أحسن التاج الملكى ثروة ،وما أعلى العرش السلطانى مرتبة،

١٠٢٠- وليست كل رأس جديرة بتلك الثروة ، وليست كل قدم خليقة بتلك الدرجة ،

- إنما القدم التى تسحق الفلك هى التى تستحق هذه الدرجة ، وذلك الجبين الذى ينطح السماء هو الجدير بتلك الثروة ،

- فلما نجا سلامان من حزن أبسال ، ربط قلبه لحبيبته السعيدة الحظ ،

- وأصبح ذيله طاهرا من كل الرذائل ، وعلت عزيمته إلى السّماوات ،

- وأصبحت رأسه جديرة بالتاج ، وأصبحت قدمه جديرة بالعرش الصاعد إلى السماء ،

١٠٢٥- فدعا ملك اليونان كل الأمراء ، ودعا كل المشهورين والمتوّجين ،

- وأقام عيداً لم يقم مثله أحد من الملوك فى سجل تاريخ العالم ،

- حضره كل قائد وكل جندى ، من جميع الأقاليم ،

- وبايع كل قائد وكل جندى سلامان ،

- وأيّد الجميع الرئاسة بقلوبهم ، ودانو له بالخضوع ،

١٠٣٠- ووضع الملك تاجه المرصع على رأسه ، ووضع عرش ملكه الذهبي تحت قدمه ،

- وسلّمه الأقاليم السبعة ، وعلّمه نظام الحكم ،
- ودوّن في مثل هذا الاجتماع وصية له ،
- وعلى رأس الجمع رصّع مائة جوهرة من ماس فكره ، فقال علانية وليس في الخفاء :

وصية الملك لسلامان

- " يا بنيّ !! إن مُلك الدنيا ليس بخالد ، وإنه ليس منتهى أمل الكبار!

١٠٣٥- فاجعل شعار عقلك قضاء الدين ، وتأكد أن اليوم مزرعة الغد،

- وازرع بذرة السعادة الدائمة ، قبل أن تأتي نهاية تلك المزرعة ،
- فكل عمل يحتاج إلى علم ، والكفاح يروج العلم ،
- فاعمل حسب ما تعرف ، وسل العلماء عماً لا تعرف ،
- وكل ما تحصل عليه ثم تُعطيه ، انظر كيف حصلت عليه وكيف أعطيته ،

١٠٤٠- وكل ما تحصل عليه ، احصل عليه وفقاً لأمر الدين ، لابحكم المدبرين النافرين ،

- وطالما أنك تأخذ كثيرا ، كما ينص الدين، فابذل كثيراً ، بحكم الدين أيضا،
- ولا تفرغ كيس المظلوم، ولا ترفع من شأن الظالم ؛
- فذلك يقع في الفاقة والحرمان ، وهذا ينفقها في الفسق والظلم ،
- فإن مثل هذا التصرف يسلمك في النهاية للأحزان ، وتنحني رقبتك تحت عبء كليهما ،

١٠٤٥- ولا تلوِ وجهك عن الطريق المستقيمة ، فقد كان ذلك

دستور الملوك الأقدمين ،

- وقد ذهب الظالم إلى الجحيم ، فلا تذهب وراءه ، وصار حطبا لجهنم ، فلا تصبح مثله ،
- واجتهد ، حتى يتحوّل بعدلك كل خطأ وخلل إلى عكسه ،
- فلا يأخذ العدل صدأ الظلم بسببك ، ويصغر كأس العدل بسبب حجر الظلم ،
- فأنت راعٍ ، والرعية كالقطيع ،فابتعد فى رعايتك عن الخداع ،

١٠٥٠- فلا تتخذ سبيلاً آخر فى رعايتك ، ولا تتعال على الرعايا،

- وكن منصفاً بنفسك كأهل العقيدة الحسنة ، أيهم أصل للموضوع : القطيع أم الراعى ؟
- ويلزمك قواد فى قطيعك ، للحفاظ على هذا القطيع ، كما تحافظ أنت عليه ،
- ورؤوسهم فى أنشوطتك ، ككلب القطيع ، ويكون ضدّ الذئب لا ضد الخروف ،
- فإنه يصبح بلاءً عظيما على القطيع ، لو أصبح الكلب المفترس صديقاً للذئب ،

١٠٥٥- ولا يستغنى الملوك عن الوزراء ، لكن ينبغى أن يكون الوزير عالماً أميناً ،

- يعرف شئون الممالك جميعا ، كى يحكمها على خير وجه ؛
- وينبغى أن يكون أميناً على مُلك الملك وماله ، ولا يتربّص

به كي يسلبه ما ليس له ،

- ولا يجبى من الرعية كثيراً أو قليلاً ، أكثر مما هو نصيب للملك أو البلاط ،

- وأن يكون رحيماً بكل المخلوقات ، مشفقاً على حال المسكين والمحتاج ،

شفقته بلسم كل صدر جريح، وقهره نازع حقد كل ظالم،

- ليس دائماً مثل كلب المسلخ ، قد تطبعَ على التلوث ،

- وما لم يلوث فمه بدم البقرة ، فإنه يظل عاجزاً متألماً ؛

- وأنت فى حاجة إلى من ينقل الأخبار من كل ناحية ، ويكون نشيطاً ، ثاقب الرأى ، صادق النصيحة ، بعيد النظر ،

كى ينقل إليك ما خفى عن الجميع ، ويقص عليك ما حدث للرعية من خير أو شرّ ،

- فذلك الذى يخشى الوزير ، يخفى حاجته عنه ،

- فابحث بنفسك ذلك الأمر ، تزدد مرتبة سعادتك علواً ،

- فإذا كان من ينوب عنك يظلم المدينة والولاية ،

- فإن تلك الكفاية لا تعنى السعادة ، بل هى حطب لوقود جهنم،

نعم هو كاف ، وليس بعيداً عن الكفاية ، فإنه يحوّل فى النهاية عَشَرَته إلى مائتين ،

- فعندما تزداد تلك الكفاية التى يحتفظ بها إلى هذا الحدّ ، فإن نفسه تطغى ويصبح كافراً ،

- وحكم الكافر للمسلم غير مرغوب فيه ، فى نظر الأذكيـــاء العقلاء ،
- وخلاصة الأمر أن كل من يظلم الناس ويترك الدين جريـــاً وراء الذهب ،
- فليس فى الدنيا من هو أكثر حمقاً منه ، ولم يأكل أحد فاكهة من خصال الأحمق ،

١٠٧٥- فلا تفوضّ أمور دينك ودنياك لأحـــد ، إلا للعقـــلاء ، والسلام .

إشارة إلى أن الهدف من هذه القصة ليس صورة القصة بل إن هدفها معنى آخر سيتضح فيما بعد

- في كل صورة من القصص حصةٌ من المعنى لأهل الدقائق ،
- وحيث إن هذه القصة قد انتهت ، فعليك بالظفر بمعناها ،
- وقد وضعها شخص عارف للطريق ،يرشدك إلى أسرار الطريق ،
- فليس الغرض منها القيل والقال بيننا وبينك ، بل كشف سرّ حالنا وحالك ،

١٠٨٠- ما المراد بالملك والحكيم ؟ وسلامان هذا الذى ولد للملك من غير زوجة ؟

- ومن أبسال التي سعدت بسلامان ؟ وما جبل النار والبحر؟
- وما المُلك الذى ناله سلامان حين صحا من حب أبسال ؟
- وما الزهرة التي سلبت قلبه ؟ وجلت عن المرآة صورة حبيبته ؟
- استمع لشرحها واحدة واحدة ، وكن من الرأس للقدم أُذناً مصغية .

فى بيان ماهو المقصود من كل ذلك

١٠٨٥- " لما خلق الصانع الواحد هذا العالم ، بدأ بالعقل الأول ،

- وكانت العقول – أيها العالم – عشرة ، وعاشرها مـؤثر فى العالم،
- ولما كان هذا العقل مؤثراً فى الدنيا بأسرها ، أسموه ((العقل الفعّال))،
- وهو مفيض الخير والشرّ فى العالم ، وكفيلٌ بالنفع والضرّ فى الدنيا ،
- وهو فى غِنىً عن الجسم والجسمانيات ، ولـيس كـتره فى حاجة إلى هذا الطلسم ،

١٠٩٠- وهو بذاته وفعله منفصلٌ عنها ، يؤثر فيها بلا اتصال ،

- وروح الإنسان وليدة تأثيره ، ونفسه أسيرة تدبيره ،
- وهما طوع حكمه ، وغريق إحسانه ،
- هو الملك الآمر ، وسواه مأمورٌ مسخّر ،
- وحيث إنه محلّى بصفة الملوكية ، فقد أسمـاه السـالكون " بالملك"،

١٠٩٥- أما الفيض الذى يفيض منه على الدنيا ، ويهـبط عليـه باستمرار مما فوقه ،

- فقد أطلق العالم السالك العجيب على هذا الفيض العلـوى لقب " الحكيم"،
- وروحه الطاهرة تسمّى " النفس الناطقة " ، وهى وليدة هذا

العقل دون صلة جسمانية ،

- ومفارقة هذه الصلة الجسمانية هى التى كنى عنها بالولادة من أب بلا صاحبة ،

- وقد جاء مولودًا غاية فى الطهارة ، واسم هذا الوليد " سلامان" ،

١١٠٠- ومن هى أبسال ؟ هى هذا الجسم أسير الشهوة ، الخاضع لأحكام الطبيعة ،

- فالجسم حىّ بالروح دائما ، والروح بالجسم تدرك المحسوسات،

- فكلاهما ، من أجل ذلك ، عاشق صاحبه ، لا يفترقان إلا من أجل الخير ،

- وما ذلك البحر الذى كانا فيه، وسعدا بالوصال فى نواحيه؟

- إنه بحر الشهوات الحيوانية ، ولجة اللذات النفسانية ،

١١٠٥- عالمٌ فى موجه مستغرق ، وهو فى استغراقه بعيدٌ عن الحق ،

- وأىّ أبسال تلك ، فى صحبتها الخادعة ؟ وسلامان ذلك الذى بقى محرومًا منها ؟

- إن ذلك هو تأثير الشيخوخة ، وطىّ بساط الشهوة ،

- فقد استقر الحبيب فى الحضن ، ولكن آلة الشهوة عاجزة عن العمل ،

- وما ميل سلامان نحو المُلك ، وتوجهه إلى عرش العزّ والجاه ؟

١١١٠- هو الميل إلى اللذات العقلية ، والتوجّه إلى مملكة العقل ،

- وما هذه النار؟ هى الرياضة الشاقة ، إلى أن تحترق الطبيعة،
- احترقت بها آثار الطبع ،وبقيت الروح، وقد عزفت عـــن الشهوات الحيوانية ،
- ولكن لإلفها هذا الطبع عمرًا، عاودها ألم فراقه بين الحـــين والحين ،
- ولهذا وصف الحكيم جمال الزهرة، وأوحى عشقها إلى نفسه،
١١١٥- حتى سكن على مرّ الزمان إليها ، وتخلص من عشق أبسال وهمّها،
- فما هى الزهرة ؟ هى الكمالات العليا ، التى تكمل الروح ببلوغها ،
- ومن هذا الجمال يصير العقل نورانيًا ، وملكًــا فى المُلــك الإنسانى،
- وقد أجملت لك هذه الأسرار ، واختصرت هذا المقال ،
- فإذا أرت التفصيل ، فأَعْمِلْ فكرك ، حــتى تتجلــى لــك الأسرار الأزلية ،
١١٢٠- وأختم بهذا التلخيص هذا الخطاب ، والله أعلم بالصواب .

خاتمة كتاب سلامان وأبسال

- جامى !! يا من طويتَ بساط العمر ، إلى متى ستظل فى خيال الشعر؟
- إلى متى ستظل – كقلمك – غير محنّك – تتلوىّ – كالحرف – فى كتابة الشعر ؟
- لقد ابيضّ شعرك فى عملك الأسود (الشاق) ، فليكن عندك قليل من الأمل لبياض الوجه من هذا الفن ،
- فقد حان الوقت لتعتذر عما قلت ، وتستغفر الله عملاً بورْدكْ ،

١١٢٥– فكَرّس نفسك ونَفَسك للاستغفار ، فإنك لا تملك النّفْسَ كى تكون قرينةً لنفَسك فحسب ،
- وحينما تغسل فمك بماء الاستغفار ، امدح ملك الدنيا ، وادع له ،
- وامدح الملك المظفر " يعقوب بيك " فقد جاء مطرًا غزيرًا ، وأنا رمالٌ عطشى ،
- وكيف ترتوى الرمال العطشى من الماء ؟ وكيف تجرؤ على وداعه ؟ فطالما أنه من المحال أن أروى غُلّتى من هذا الماء ، فمن الخير أن أختم مقالى بالدعاء ،

١١٣٠– فلقد نضرت الدنيا من فيض جوده ، وعلت شهرة أيام عدله،
- فليكسب كل لحظة جاهًا وجلالاً جديدًا ، ولتخلد أيام ملكه إلى الأبد .

المؤلف فى سطور

نور الدين عبد الرحمن الجامى

من شعراء القرن التاسع الهجرى، ويعتبره بعض النقاد من أشهر الشعراء فى ذلك القرن.

كان الجامى على معرفة تامة باللغة العربية؛ فساعده ذلك على نظم قصص مهمة مثل يوسف وزليخا وغيرها من الأعمال، كما كان الجامى رجلاً صوفيًا؛ مما أضفى على كثير من أعماله هذا الجانب بجلاء.

المترجم فى سطور

عبد العزيز مصطفى بقوش

حصل - فى مستهل الستينات - على ليسانس آداب جامعة القاهرة (قسم الغات الشرقية) وعين معيداً للغة الفارسية بكلية دار العلوم.

ثم حصل على درجتى الماچستير والدكتوراه فى اللغة الفارسية، من كلية الآداب جامعة القاهرة (قسم اللغات الشرقية).

وبعد ترقيته إلى درجة أستاذ للغة الفارسية صار رئيسًا لقسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية بكلية دار العلوم.

عمل بالجزائر وليبيا وقطر.

من أهم ترجماته:

يوسف وزليخا للشاعر الفارسى نور الدين عبد الرحمن الجامى

سلامان وأبسال للشاعر الفارسى نور الدين عبد الرحمن الجامى

مخزن الأسرار للشاعر الفارسى نظامى الكنجوى

خسرو وشيرين للشاعر الفارسى نظامى الكنجوى

وجميعها مقدمة إلى المجلس الأعلى للثقافة، منها ما تم نشره ومنها ما هو تحت الطبع.

وقد نالت ترجمته «لقصة خسرو وشيرين» جائزة المجلس الأعلى للثقافة لأفضل ترجمة عن الفارسية.

الإشراف اللغوى: حسام عبد العزيز

الإشراف الفنـــى: حســـن كامـــل